ارسين لوبين

إعترافات أرسين لوبين



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي " موريس لبلان " وقد لاقت إقبالاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإماطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والإنتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .

إنه اللص الشريف الذي يمتلىء قلبه بالحب والخير للناس .

وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في اوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .

فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

اعترافات أرسين لوبين

الفصل الأول

أشعلت سيجارتي الرابعة وأصابعي ترتجف أشبه بحزمة من أوراق الشجر . وجعلت أحملق إلى الباب خلال الدخان الأزرق كأنما أتوقع أن ينفتح على مصراعيه رغم أنني كنت قد أدرت فيه المفتاح منذ ساعتين . ولم تكن رعدتي بسبب خشيتي القانون لأنني كثيراً ما خرقته وخالفته مطمئن البال ، ولكني كنت أرتعش كلما تذكرت ذلك الوغد (جوزيه سافيلا) يمطر الأرملة الشابة برصاصه ، ثم يتركها جثة هامدة على أرض سيارتي .

وكان أخوه "مانويل سافيلا" يناوئني وأناوئه في كل مكان على طريقتي في تضييق الخناق على كل المجرمين ، وكذلك كان البوليس الإنجليزي يتشكك في منذ هبطت إلى إنجلترا عندما اجتاح الألمان الأرض الفرنسية .. ولكن مناوأة "سافيلا" قد احتدمت أخيراً وسيلتف بسببي حبل المشنقة حول رقبة أخيه "جوزيه" ... وها هو ذا يكتشف أخيراً الحجرة الوضيعة التي انتقلت إليها ، وها هو ذا يرسل أعوانه لاقتناصي وإزهاق روحي في مكمني .. وكنت أعرف أن الدم الإسباني يجري في شرايين ذلك الرجل ، فلم أعجب لهياجه وانفعاله لأوهى الأسباب ، ولم أدهش لإصراره على الانتقام من خصومه في غير رحمة أو هوادة .

توالت الطرقات على الباب من جديد ، فدفعت السيجارة الخامسة في فمي لأنني بدونها أكون أشبه برجل يتضور جوعا وعطشا . وتصبب العرق من جبيني عندما وجدتني أشبه بفأر صغير في مصيدة يحيط به أكثر من قطة متحفزة . ولكنني اعتزمت أن أبيع حياتي بأبهظ ثمن !

وارتفع صوت أجش يقول :

- افتح يا "لوبين" !
- وقال صوت آخر :

- إنه ليس هنا يا "هنري" .
- أنا واثق أنه هنا فقد رأيته عائداً منذ ساعتين ولم أره يغادر المنزل بعد ذلك .

فتوالت الطرقات ... وأدركت من الإلحاح في الطرق والنداء أنهم مصرون على اقتناصي .. وارتفع الصوت الأجش يقول :

- افتح أو نحطم الباب !

فمضيت إلى الباب وإحدى يدي في جيبي قابضة على مسدسي ومددت الأخرى إلى المفتاح في شيء من التردد ، فقال "هنري" صاحب الصوت الأجش :

- أنا أسمعه يا "فريد" إن وقع قدميه يقترب من الباب . افتح يا "لوبين" ولا تخف وألهبتني عبارته (لاتخف) ففتحت الباب حانقاً على الفور .. وسرعان ما اندفع إلى الحجرة رجل بدين يكتنز بالعضلات . أما رفيقه فكان شابا فارع الطول بادي الأناقة ممشوق القامة متجهم الأسارير . ولاحظا أنني أشد على قبضتي معتزما أن أدافع عن نفسي بكل ما اختزن فيها من قوة ، فقال الرجل البدين يسألني في رفق :
- أأنت مسيو "لوبين" ؟

ولما أومأت برأسي بالإيجاب عن سؤاله السخيف استطرد يقول :

- لاداعي لإثارة المتاعب . نحن صديقان لك .. فقط جئنا لنمضي بك إلى مكان بعيد .

ثم انتحى جانبا يحرك شدقيه في عصبية كأنما يجتر شيئا بين أسنانه .. إلى أن قال له زميله :

- هيا بنا يا "هنري" !

وتقدمنا "فريد" فهبطت معهما إلى الشارع مؤثراً أن أستسلم وأن أرى خاتمة ذلك المطاف ، وفي الطريق وجدت سيارة في انتظارنا ، وسرعان ما أقلتنا تسابق الريح ، وبعد عشر دقائق عاد البدين يقول لي :

- لاتخف يا "لوبين" فرئيسنا صديق لك .

وافتر فمه عن ابتسامة توحي بصدقه ، ولكنني رحت أتساءل أي صداقة يمكن أن تجمع بيني وبين "سافيلا" بعد أن قدمت أخاه

للمشنقة ؟ وكنت اعرف جيداً جميع الشوارع الخلفية بين ميداني "ميدافيل" و"مايفير" ، فما إن بلغنا سوق شبرد حتى انحدرت بنا السيارة في طريق متعرج بين شارعي اكسفورد وبيكادللي ، بينما كان "هنري" يرمقني من حين إلى آخر بطرف عينه .. ودخلنا أخيراً إلى حظيرة للسيارات سرعان ما هبطت أرضيتها بسيارتنا إلى طابق تحت الأرض على عمق يقرب من ثلاثة أمتار ونصف المتر .

ونزل "فريد" من السيارة ليضغط زراً في الحائط فانشق أحد الجدران عن فجوة دخلنا منها مترجلين لنستقل مصعدا إلى طابق عال يشرف على الطريق ، وفيه أشار "هنري" إلى حجرة بها منضدة كبيرة ثم قال لي :

– اجلس هنا يا مسيو "لوبين" وسيتولى "فريد" مسامرتك .

وجلست .. وغاص "فريد" في مقعد إلى جانبي ، بينما مضى الرجل البدين وسائق السيارة خلال دهليز في الركن البعيد . واستدرت إلى "فريد" فسألني في اقتضاب :

– أظنك تتحرق على معرفة السر في هذه الرحلة الطويلة ؟

فقلت له :

– الواقع أن بي رغبة في الإصغاء .

ولكنه زمجر قائلا :

– إذن يجب أن تنتظر و أن تروض أعصابك على التأني بضع لحظات .

ثم قرأت في أساريره ما نصحني بالا استرسل في الحديث ، فأخلدت إلى الصمت وأنا أتلهف على الخوض معه في سيرة "سافيلا" و مملكته الصغيرة تحت الأرض في قلب لندن ، ولذلك مالبثت بعد قليل أن قلت :

– سيفطن رجال البوليس إلى تغيبي وسيربطون بين غيابي وبين العداوة المستحكمة بيني وبين "سافيلا" ...

فلم يبد على الشاب أي دليل حتى على رغبته في الإنصات إلي، وكنت أعتزم مع ذلك المضي في حديثي لولا أن قدم زميله "هنري" عائدا وهو يمسك قبعته بإحدى يديه ثم قال لي :

– تعال يا مسيو "لوبين" فإن (الحاكم) سوف يقابلك في الحال.

وكان يبتسم ابتسامة عريضة كأنما يتوقع أن تكون المقابلة بيني وبين "مانويل سافيلا" شائقة تدعو للاغتباط ... من ناحيتهم بالتأكيد!!

ومضيت أتبع "هنري" ويدي ممسكة بمسدسي في جيبي وكلي انتباه إلى فخ قد ينفتح فجأة تحت قدمي . أما "فريد" فظل غائصاً في مقعده وهو يرنو إلي وفي عينيه ما يشبه توديع صديق سيطول تغيبه !

وسرنا في الدهليز على سجاد ثمين لايسمع وقع للأقدام فوقه.. وأدركت من جدته أنه مشترى من السوق السوداء ، وما أكثر عملاءها الوثيقي الصلة بـ"مانويل" وأخيرا رأيت باباً في الجدار ينفتح أمامنا دون أن يمسه "هنري" بيده أو أراه يضغط زراً هنا أو هناك ! وسرعان ما رأيت خلفه حجرة وثيرة الأثاث يتوسطها رجل يرتدي معطفاً رياضياً من صوف الجمل ويلف حول عنقه وشاحا جميلا .. واستدار عند دخولنا عن النافذة فشهقت لرؤيته ومضيت أحملق مشدوها إلى وجهه الصبيح الوسيم وشعره الفاحم وعينيه الحادتين وفي ذقنه الذي ينطق بقوة شكيمته .. ثم صحت :

– "نيد كازينو" ؟!

فالتقط علبة السجائر عن مكتبه وقدم لي سيجارة ثم أشعل لنفسه واحدة وهو يقول :

– دخن يا مسيو "لوبين" ..

فأخذت السيجارة منه واستعرت قداحته الذهبية ثم قلت :

– كنت أظنني مدعواً لمقابلة "سافيلا" ولذلك دهشت عندما فوجئت برؤيتك على غير انتظار !

فجلس الرجل على مقعد هزاز وأشار إلى أن أجلس أمامه وقال:

– إذن هذا ماظننته يا مسيو "لوبين" ؟ أراك شديد القلق من ناحية "سافيلا" منذ وضعت الحبل حول رقبة أخيه !! ولكن لماذا لم تنشد حراسة البوليس وخصوصا ذلك المفتش الطيب "دافيد سون" ؟!

فاستضحكت وقلت :

– إن التجائي إلى البوليس معناه السقوط من المقلاة إلى النار يا مستر "كازينو" .

- يبدو أنك تعرف الكثير عني .. أليس كذلك ؟

- فقط من الصحف والمجلات التي تنشر صورتك كنجم سينمائي إيطالي الأصل وتشير من طرف خفي إلى أنك ترأس عصابة كبيرة لم يهتد البوليس بعد إلى طبيعتها .

وكذلك قرأت في الصحف شيئاً عن ماضيك في الحرب ، وأنك كنت في فرقة الفدائيين (الكوماندو) في دييب ونورماندي .

وماذا تعرف عني وعن "سافيلا" ؟

- مجرد شائعات عن العداء المستحكم بينكما .

- وما رأيك يا مسيو "كوبين" في أن تعمل لحسابي مادمت لا تأمن انتقام "سافيلا" ؟

فجذبت نفساً طويلا من سيجارتي ثم قلت :

- أنا سائق سيارة ولا فائدة ترجى مني لك ؟

- هذا ما تدعيه في الآونة الأخيرة تضليلا لرجال البوليس أو لغرض في نفسك ..

ولكن يبدو أنك ترتعد خوفا من "سافيلا" .

- إذن أنت لاتعرفني جيداً .

- وهل أدل على خوفك من سكناك تلك الحجرة الضيقة إمعاناً في الهرب من نقمته .

دعك من التغرير بنفسك وبالآخرين يا "كوبين" !

- بل دعك أنت من محاولة إغرائي بالانضمام إليك بهذا التحدي، ولا أدري كيف نتفق وأنت لاتريد من وراء عصابتك سوى اكتناز المال بمختلف الطرق !

- إن طريقتي في الحصول على المال تمتاز بأنها لا تتطلب جهدا عقلياً أو تستدعي التصبب بالعرق . ولقد حار رجال البوليس في تفهمها ولذلك يرونني لغزاً أو طلسما عسير الحل ، ومازلوا يراقبون كل حركاتي وسكناتي وإن كنت لا أعمد إلى الطرق الملتوية التي يجيدها الأوغاد ! تصوروا إنني لا أطيق أن تظهر الصحف خالية من اسمي أو التلميح إلى جهودي الخفية ! إنني أجد في هذه الإشادة بذكري لذة وفخراً كبيرين . وأظننا نتفق كماترى في أن رجال البوليس يحاولون

أن يلصقوا بنا تهمة تسوقنا إلى السجن وفي أن عدونا "سافيلا" مشترك بيننا فلماذا لا نتعاون إذن ؟ إنك "كوبين" الداهية وأنا "كازينو" الذي لايهاب . وفي وسعك وأنت تحترف سواقة السيارات أن تتردد على جميع الأحياء فقيرها وغنيها دون أن تحوم حولك الشبهات .. فما رأيك في أن أتخذك قائداً لسيارتي في الظاهر ؟ سوف أجزل لك العطاء باعتبارك شريكا وأعدك ألا تمس يداك شيئا يمكن أن تسميه جريمة

وكدت أنفجر ضاحكا من هذه العبارات الأخيرة الصادرة من "كازينو" بالذات ، ولكنني آثرت الإخلاد إلى الصمت، فاسترسل يقول :

- إن لي أعوانا كثيرين منهم "ستيف" و "فريد" ، و "ونجيت" .. وكلهم ممن أبلوا بلاء حسنا في الحرب ثم عادوا ليجدوا أوغاداً مثل "سافيلا" قد استغلوا السوق السوداء لمصلحتهم وحدهم ، وتولوا عمليات التهريب على نطاق واسع بواسطة سفنهم البخارية الخفيفة وارتفع صوت "هنري ستيف" يقول محذراً :

- "نيد" !

فابتسم "نيد كازينو" وقال لي :

- إن "ستيف" يحذرني من الاسترسال معك في الحديث ولكني واثق أنك ستكون معنا في محاربة العصابات التي تعيث فساداً في السوق السوداء فنحصل لأنفسنا على النسبة المئوية ثم نحيل البضائع إلى التجار الأشراف يبيعونها حسب التسعيرة ! وعلى أية حال سوف تعمل من أجلنا إن لم تعمل معنا مادام لنا عدو واحد مشترك والآن لا أحب أن أحتجزك أكثر من هذا وأشكر لك زيارتك القصيرة .

وهبطت الدرج من الناحية الأخرى بلا (مصعد) حتى بلغت الطابق الأرضي وهناك قال لي رفيقي "هنري ستيف" :

- امض من هذا الباب فوراً .

فسألته :

- لحظة واحدة .. كيف أستطيع الاتصال بـ"كازينو" عندما أريد ؟

فتلفت حواليه ثم قال :

- نحن لا نذكر هذا الاسم في الخارج .. أفهمت ؟

وفعلا فهمت .. بل فهمت اكثر مما كانت تعنيه نظراته الخبيثة ، وتمتم يقول :

- حسناً .. سوف نتصل نحن بك .

ومضيت إلى مطعم تناولت فيه بعض الشاي والشطائر ، ثم ركبت حافلة إلى منزلي .. وقبل أن اصل إلى باب حجرتي برز شبح من الظلام يسألني :

- أأنت "أرسين لوبين" ؟

فخطوت مذعورا إلى الخلف ويدي في جيبي قابضة على مسدسي، ولكن الشبح اضاء مشعله على الفور ، ثم قال في رفق:

- أنا من رجال اسكوتلانديارد جئت ادعوك لمقابلة المفتش "دافيد سون" في الحال .

قلت :

- ولكني لم اشترك في شيء يستدعي هذه الدعوة الآن ؟ لعله يقصد شخصا غيري !

- ألست "لوبين" الذي رأى "جوزيه سافيلا" يقتل امرأة في سيارته !

- أجل ولكن ..

- ألست "لوبين" الذي كان منذ قليل في زيارة "كازينو" ؟

- وماذا لو كان ذلك ؟

- إذن أنت نفس الشخص الذي يريد المفتش مقابلته في الحال.

فمضيت معه إلى سيارة تنتظر في الشارع الثاني وقد احتلها الضابط "نيكولسن" وشرطي آخر فجلست بجانب السائق مزهوا ولكن الضابط غمغم قائلا :

- لا حاجة إلى إخبارنا بانك قد التحقت بزمرة "كازينو" ولم أر تلك الحاجة فلم اخبرهم بشيء !

الفصل الثاني

عدت من اسكوتلانديارد مزعزع الثقة بنفسي فإن المفتش "دافيد سون" كان ظريفا معي ولم يشأ أن يرهقني طويلا باسئلته، ولكنه ابدى اله عندما اخبرته أنني لا أملك من الاقوال ما افضي به إليه، ثم اكتفى بان حذرني من الاختلاط باللصوص والمجرمين والمهربين قائلا في دهاء :

- أنت طوال عمرك في حرب ضد الأوغاد خارقي القوانين فكيف تختتم حياتك بالاتفاق معهم على حساب الأمن العام ومصالح الناس؟

فاكدت له انه واهم وانني ما عمدت إلى الاشتغال بسواقة السيارات إلا لانني كففت عن نشاطي الذي كان يدر علي الآفاً من الجنيهات ابتزها من المجرمين والأغنياء الظالمين ، ولكنه عاد يؤكد لي أن "تيد كازينو" واعوانه عصبة خفية تشتغل في السوق السوداء وتقتني اشياء كثيرة بطريقة خفية لن يلبث ان يهتدي إليها يوما ما ، وانه واثق ان هذه الأشياء تؤخذ بالسرقة والعنف ، ثم تصل إلى ايدي "كازينو" واعوانه فيبيعونها إلى تجار صغار ممن قيدت اسماؤهم بالسجل التجاري ولا غبار على تصريفهم مالديهم من بضائع .

ثم سكت لحظة واستطرد يقول :

- ولا تنس ان "سافيلا" يمقتك كل المقت ، واظن "كازينو" صارحك بذلك ايضا ..

ولم اجب ، فاسترسل يقول :

- إن لديه سيارة كبيرة امريكية تحمل رقماً جديداً ، ولكنني لا أدري كيف حصل عليها مع حظر استيراد هذه السيارات من امريكا ! وإن كنت اعلم ان في زمرته امريكياً يدعى "هانك برودسون" ، كان جاويشاً في الجيش واحد من عملوا مع "كازينو" في "ديبب" ، فلما انقضت الحرب عاد إلى امريكا ليخلع بذلته الرسمية ويشتري سيارة كبيرة جاء بها إلى هنا معه .. وما كان في وسع أحد أن يمنعه من ذلك لأن السيارة مازالت مسجلة باسمه ، ولكننا نعرف من يستعملها الآن

بل نعرف سر مجيء (بروسون) إلى إنجلترا :
قلت ساخرا :
- لعله استطاب المكث هنا لأن نظام البطاقات في إنجلترا يروق له.
- كلا .. ولكن لأن له ماضياً في سجون أمريكا .
- أوليس هذا كافيا لأن يجعل إقامته هنا غير مرغوب فيها ؟
- هو ذلك ، لولا أنه حصل على وسام الاستحقاق وصليب الخدمة الممتازة ، وإلى أن نثبت عليه بالدليل المادي أحد المآخذ سيظل في مأمن من الترحيل والإقصاء
- يبدو أنه و"كازينو" ، بل ومعظم أعوان "كازينو" يمتازون بسجلاتهم الحربية الطيبة الذكر !
- هو ذلك على قدر ما تعلم ، وإن كنت واثقاً أنهم أخطر شرذمة تعمل في الخفاء ثم راح يذرع حجرته جيئة وذهابا لبضع دقائق .. وأخيراً .. وقف أمامي ليقول في دهاء :
- لعلك استطعت إثبات التهمة على "جوزيه سافيلا" لأنك كنت على سابق اتفاق مع عصابة "كازينو" فتآمرت معها على وضع هذه المصيدة للرجل ودبرتما أن تستقل المرأة سيارتك بالذات ..
وبجهد كتمت الضحك في صدري لأنني كنت أعلم أن المفتش "دافيد سون" لا يقبل بسهولة أي معارضة لما يظنه أو يتوهمه .. ولما وجدني أخلد إلى الصمت تركني أذهب وخرجت من "سكتلانديارد" مزعزع الثقة بنفسي لأنني لم أستبعد - بعد إدامة التفكير - أن يكون "كازينو" الداهية قد هيأ للمرأة أن تستقل سيارتي عامداً أن أكون شاهداً على مصرعها بالطريقة التي تمت، ومضيت لفوري إلى مشرب (جركين) لأحتسي كأساً وأدخن قليلا قبل أن أعود إلى غرفتي وفيرانها ..
ومضيت أقلب في خاطري هذا الاتهام بأنني انضممت إلى عصابة "كازينو" !! ولم يغشني زهو ما لهذه التهمة التي أنا بريء منها ولم أسترح إلى مجرد تصور أن يكون "كازينو" الماكر قد جعل مني مخلب القط في اتهام "جوزيه سافيلا" ليتضاعف العداء بيني وبين أخيه ويتسنى تعاوني مع "كازينو" للقضاء على عدونا المشترك !!
ويقع مشرب (جركين) على ناصية شارع هادئ ولذلك كنت أرتاح

إليه كثيراً وأقضي فيه أكثر أمسياتي ، وكانت جلستي بالقرب من الباب ، ومضيت أشعل سيجارة ثم أحتسي الشراب ، ولكنني عندما هممت بالانصراف مضيت إلى منصة الساقي وطلبت كأسين من الشراب ازدردتهما بسرعة .. وما لبثت أن سمعت صوتاً يخاطبني :
- لاداعي للعجلة ياسيدي !
فاستدرت لأجد فتاة ترتدي ثوباً أسود ويلتمع شعرها الأشقر ويتثنى قوامها الرشيق ، ولكني لم أشجعها بل قلت :
- آسف .. إنك تضيعين وقتك سدى معي لأن رصيدي في المصرف لايسمح بكماليات في هذه الأيام ..
فاقتنصتني بعينيها الساحرتين وقالت في هدوء :
- أنا لست من الكماليات يا مسيو "لوبين".
وشعرت بما في مسلكي من مجافاة للفروسية والأريحية ، ولكنني آثرت أن أرد على التحدي الواضح في عينيها بعدم الإذعان للتقاليد وعدم الخضوع لفتنتها الطاغية فقلت متهكما :
- ولست في نظري من الضرورات لي كذلك !
بيد أنها قالت فيما يشبه الهمس :
- أنا من ألزم اللزوميات لك إذا كانت بك رغبة في الحياة فمضيت مأخوذاً بعبارتها المهددة إلى منضدتي السابقة وأنا أدعوها قائلا :
- تعالي اجلسي .. ماذا تشربين ؟
- بعض الشراب بالليمون
فأشعلت سيجارة ثم قلت لها :
- والآن من أنت ؟ وكيف عرفت اسمي ؟ ومن أرسلك لمقابلتي. وفي أي شأن ؟
وكنت حانقا لوعيدها متحرقا على معرفة ماذا تعني بأنها ضرورية لبقائي حيا أرزق ولكنها ارتشفت من كأسها ثم قالت في هدوء عجيب:
- على رسلك ؟ سؤالا سؤالا ! ثم لماذا تحملق إلي هكذا ؟ إن اسم أرسين "لوبين" يعرفه كل إنسان .
والواقع أنني تضايقت من لهجتها الساخرة خصوصا بعد أن

اكرمتها وجئتها بشراب الليمون . ويبدو انها ادركت حنقي فعادت تقول :

- ألق عن كاهلك كل تبرم وابسط أساريرك فما سمعنا عن "لوبين" انه يبالي بشيء ثم رشفت رشفة جديدة من شرابها واسترسلت تقول في رنة اللائمة :

- ظللت ثلاثة ايام احاول مقابلتك ولكنك لم تات امس إلى هنا وكذلك اول امس .

قلت مزمجرا :

- كنت متوعكا .

فالتفتت حواليها ، ثم حنت راسها ووضعت إصبعها القابع في قفازها على شفتيها القرمزيتين ثم قالت :

- خافت من صوتك ليتناسب مع توعكك !! وسوف اجعلك الآن تشعر بأن صحتك احسن كثيراً .

- ولكن من انت ؟

- من حقك فعلا ان تعرف ، انا المراة التي ستصبح بسببك ارملة .

قلت وقد تولاني الخجل :

- اتعنين أنك ... ؟

- نعم يا "لوبين" . انا مسز "جوزيه سافيلا" . لا تجزع فقد خلصتني من ذلك الوغد الحقير ، ولكنك وضعتني في مازق يستدعي أن تعمل شيئا لإنقاذي منه .

فنهضت على قدمي اقول :

- أصغي إلي ! لقد كرهت كل شيء عن "جوزيه سافيلا" ولا احب أن اعمل شيئا يتصل به من قريب او بعيد .. طابت ليلتك .

ومضيت إلى الشارع ، ولكنها سرعان ما لحقت بي بعد دقيقة واحدة وعقباها يضربان في الأرض كانهما صنج راقصة ، وخاطبتني لائمة متذمرة .

- انا لاأحب أن أشرب على عجل ، وإنه لمن الفظاظة أن تهرب هكذا من سيدة !

- اصغي إلي ..

ولكنها حملقت إلي بوجه صارم نافذ النظرات ثم أخرجت من حقيبتها مسدساً سددته إلى جنبي .. فقلت :

- ابعدي هذا الشيء ولا تكوني حمقاء !

ووقفنا على الرصيف لحظات يتفرس كل منا في الآخر .. ثم قالت :

- انا يائسة يا "لوبين" .. يائسة جداً ، وإذا لم تساعدني بعمل ما اطلبه منك فسوف اقتلك .

- ولماذا تطلبين ذلك مني بالذات ؟

- لانك الوحيد الذي يستطيع أن يعمل ذلك من اجلي .

- ماهو (ذلك) الذي تعنينه ؟

- أن تجيئني بالسيارة التي ارتكب فيها "جوزيه" جريمته وكنت تسوقها يوم الحادث ...

فعصف بي الغضب وقلت :

- يالك من مجنونة ! لا يمكنني ان افعل ذلك . فإن الشركة لا تعطيني السيارة التي اختارها بل التي تختارها هي ، وقد أصلحتها بعد الحادث ولم تخرجها بعد .. ثم لماذا تريدينها ؟

- لايهمك .. جئني بها فحسب .. لقد سمعت شهادتك في المحكمة وفهمت منها أن لك أصدقاء في الحظيرة ، فاستعن بهم في معاونتي اكن مدينة لك بالكثير بعد ان اصبحت مدينا لي بالكثير جداً كذلك .

- انا مدين لك ؟ كيف بالله ؟

- لقد جعلتني أرملة وسلبتني اختا .

- أختاً ؟ اتعنين أن "ماري فاريل" ، التي قتلها "جوزيه" ... ؟

- نعم "ماري" أختي .

- ولكن هذا لم يظهر في أثناء التحقيق !

فابتسمت ابتسامة واهنة وقالت :

- إن أشياء كثيرة لم تظهر في أثناء التحقيق ! جئني يا مسيو "لوبين" بهذه السيارة فإن فيها شيئا لا يعرف البوليس أنه بها ، ولكنني اعرفه ويهمني الحصول عليه .. عاوني وكف عن وساوسك من ناحيتي وقل لي كم يكلفني إرشاء حارس الحظيرة الليلي ؟

- خمسة جنيهات .

فاخرجت خمس ورقات مالية من حقيبتها ، ثم ورقة بيضاء وقلما لتكتب عليها عنوانا ، وقالت :

- جئني بالسيارة في منتصف العاشرة في هذا المكان يا لوبين.. ومتى تحققت من العنوان احرق الورقة

ودفعت النقود والورقة في يدي ثم استدارت ومضت تضرب الأرض بعقبيها العاليين أسرع مما فعلت من قبل !

* * *

ولما طلبت إلى "شارلي ريس" - الحارس الليلي للحظيرة - ان يسلمني السيارة ، قال :

- أنت تعرف أن مدير الشركة يضع اسمي في القائمة السوداء ، فهل تريدني أعمل على إذكاء غضبه علي ؟

ولكنني كنت أعلم حاجته إلى النقود وشدة إسرافه ، فلما رأى الجنيهات الخمسة برقت عيناه وسال لعابه ، ثم قال :

- ستحافظ عليها جيدا يا "لوبين" ! أعني ....

فبادرت اطمئنه قائلا :

- لاتخش اي متاعب يا "شارلي" ، وتستطيع إذا حدث شيء ان تقول لمستر "باومان" إنني اوهمتك بانني استاذنته في اخذ سيارتي القديمة ، ولاتنس أن السيارات جميعها مؤمن عليها .

ومازلت بالرجل حتى بددت مخاوفه ثم استقللت السيارة ومضيت اسابق بها الريح حتى إذا قطعت ربع ميل رحت انحى على نفسي باللائمة لإقحامها في هذه الحماقة التي قد تدفعني دون أن ادري إلى العمل مع "كازينو" . ولكن روح المغامرة كانت تذلل لي كل عقبة وتمهد لي كل طريق إلى المجازفات التي اتصيدها وانعم بخوضها مهما سببت لي من متاعب ! ولم ادر ما وراء هذه اللعبة التي ساقتني إليها مسز "جوزيه" العنيدة التي تنطق أساريرها بانها إذا ارادت شيئاً فلابد من إنفاذه وتحقيقه ! والواقع أنها استطاعت ان تدفعني إلى مطاوعتها بإيهامي أن هناك حافزاً قويا لا تستطيع ان تغالبه . ولايعني هذا أنني رثيت لحالها لانها ليست من النوع الذي يستحق

الرثاء او يشعرك به بسهولة ، ولكن كانت لها قوة كامنة تغريك بالانصياع لها بلا تردد .. قوة مغناطيسية لاتقاوم .. وحفظت العنوان الذي اعطتنيه فاحرقت الورقة كما طلبت دون أن أحتاط لنفسي فاحتفظ بها لوقت حاجة تدعوني إلى تبريرمسلكي. ومضيت اردد العنوان في خاطري "بنسيون لارش" شارع افنيو بهايدبارك" وكنت اعرف أن هذا العنوان لايبعد كثيراً عن حديقة الحيوان واعرف انه نال من ويلات القنابل في اثناء الحرب ما جعل مساكنه اشبه باسنان العجوز ، وعبرت شارع "اكسفورد" ثم اتجهت شمال حديقة الحيوان إلى أن بلغت شارع ، افنيو ووقفت بسيارتي أمام بنسيون لارش ..

ويبدو انه كان يوما ما منزلا انيقاً ثم اهمل فاختنقت حديقته بالاعشاب البرية وانخلعت بواباته الحديدية ولطخت الأمطار جدرانه الخارجية وحطمت نوافذه الرياح حتى ليخيل للناظر إليه انه منزل مهجور او أريد أن يبدو كذلك .

وما إن اطفأت انوار السيارة ثم هبطت إلى الباب ، حتى فتح قبل أن اقرعه أو أضغط زره الكهربائي فادركت أن المراة في انتظاري . وسرعان ما ارتفع صوتها في الظلام يرتعش بالانفعال المكبوت :

- تعال لتعاونني على فتح باب الحظيرة وإدخال السيارة بها.

ورايتني اتبعها إلى الخارج ثم إلى جانب من المنزل حيث توجد الحظيرة ، واضطررت إلى استخدام كتفي لاقوى على فتح بابي الحظيرة التي كانت خالية إلا من مقعد طويل وأكوام من القش والصحف القذرة . وعلى ضوء مشعل المراة رايت فاراً يثب خلف بعض الحقائب المطمورة تحت القش ولكنها لم ترتعد ولم تتحرك او تصرخ بل قالت :

- حسناً .. هات السيارة يا"لوبين" .

فمضيت إلى السيارة وجئت بها إلى الحظيرة ، فقالت لي :

- دع الأنوار مضاءة وساعدني على إغلاق البابين .

ولما اقفلنا البابين وثبت إلى السيارة وجلست فيها بينما كنت انا اتطلع إليها مشدوهاً ثم سالتها :

- علام تبحثين ؟

وانعكس الضوء من الجدران على عينيها المتقدتين وشعرها الذهبي وعنقها العاجي فاغتبطت بان أتاملها طويلا وأتامل عينيها الجميلتين رغم أنهما كانتا إذ ذاك تقدحان بالاهتمام . وكانت هي واثقة بسحر عينيها وثوقها من مواهبها ، ولذلك كانت بادية الاعتداد بنفسها .. قالت :

- لقد أخفت أختي شيئا في هذه السيارة يا "لوبين" وأريد أن أعثر عليه .

فسألتها :

- وكيف تعرفين أنها فعلت ذلك ؟

- لأن "نيد كازينو" ليس في السجن .. وأنت تعلم أنك أقللت أختي في هذه السيارة من سانت بنكراس إلى فندق بيللا مونتانا في ميدان بدفورد فلما اقتربت منه وثب رجل على السيارة من الرصيف ، وقد قلت أنت في شهادتك بالمحكمة إنك سمعت راكبتك تقلب حقيبتها ثم تصرخ .

- هذا صحيح .

- ثم فتح الباب عنوة وقبل أن تهبط أنت عن عجلة القيادة كان "جوزيه" قد أطلق عليها ثلاث رصاصات وجرى يحمل حقيبتها في يسراه ويهددك بمسدسه في يمناه وبذلك أتيح لك أن ترى وجهه .

- هذا صحيح

- فلو أن "جوزيه سافيلا" حصل على الأوراق التي كان يريدها من أختي لكان "نيد كازينو" ملقى الآن في ظلمات السجن .

- أتعنين أن أختك تعرفت على "جوزيه" عندما وثب من الرصيف فانتزعت الأوراق من الحقيبة وأخفتها في مكان ما بالسيارة ؟ أليس كذلك يا مسز ... ؟ ما اسمك لتغنيني عن مناداتك بمسز "سافيلا" ؟

- اسمي "جلوريا" .

والواقع أن هذا الاسم الجميل كان يناسبها تماما . ثم استطردت تقول :

- أنا واثقة أن هذا قد حدث .. فقد قدمت أختي إلى لندن لتتجر مع "سافيلا" مخالفة بذلك نصائحي إذ قلت لها إن "مانويل سافيلا" سبق

أن قتل زوجها من قبل ولكنها لم تشأ أن تصدقني .

ومضت تبحث في أرجاء السيارة من الداخل وتحت الحشيات وخلال كل الثقوب والتمزقات التي تصادفها ولكنها لم تجد أثراً للأوراق ، وكلما انقضى الوقت ازددت شغفاً بذلك العمل .. وأخيراً قلت:

- لقد سبقك البوليس إلى البحث والتنقيب بلا جدوى .

فزوت ما بين حاجبيها وأخلدت إلى الصمت والوجوم .. وران علينا السكون المطبق إلا من حفيف القش كلما توائب تحته الفأر.. وفجأة سألتها

- ألم يدر براسك أن أختك ربما أسقطت الأوراق خلف زجاج النافذة أو الباب ؟

فأسرعت إلى حقيبة أدوات السيارة ثم راحت تفك اللوح الزجاجي عن النافذة ثم مدت أصابعها في تلك الفجوة لتخرج الأوراق والدنيا لاتتسع لفرحتها !! وبهدوء توليت إعادة أدوات السيارة إلى مكانها تحت مقعد السواقة ثم عدت إليها وهي تتصفح الأوراق فقالت لي :

- لايهمك مابها يا "لوبين"

ولم أشأ أن أجادلها فوقفت أمسح أصابعي بمنديلي حتى لايبدو لها أثر داخل السيارة ثم قلت :

- والآن ساعيدها إلى مكانها يا "جلوريا"

ولكنها قالت والانفعال يشيع في نظراتها :

- لدي ما أريد أن تراه أولا يا "لوبين" أطفئ أنوار السيارة وتعال معي داخل المنزل .

وانصعت لها بقوة إرادتها وجمالها وحب الاستطلاع في نفسي، ومضيت معها نتبع نور مشعلها إلى خلف المنزل ثم هبطنا درجا إلى المطبخ الرطب ، وهناك أشارت إلى باب خفي كشفت عنه عندما سحبت جانبا ستارا سميكا باليا . وفتحت الباب وتبعتها فوق درج متسخ بين جدران نسجت عليها يد البلى خيوط العنكبوت ، وفي نهاية الدرج لمست زراً في الحائط فانفتح الجدار عن "كيلار" واسع يسبح في ضوء برتقالي .. وأمسكت بأنفاسي عندما شاهدت أكداساً من بالات الأقمشة،

وصناديق حاشدة بافخم أنواع الروائح والمساحيق وجميع أدوات الزينة ، وعلباً كبيرة مملوءة بالشاي والسجائر، وغيرها مما لا يتصوره إنسان في بلد يعيش على البطاقات ! وادركت أي متاعب أحملق إليها، ولكنني حاولت أن أتظاهر بالاستخفاف وان ابدد أثر المفاجأة في نفسي فقلت :

- من حسن الحظ أن لم تأت الفئران على هذه الأشياء يا "جلوريا"..

وأدهشني أنها قالت باسمة :

- ولكنها توصلت إليها .. أنا وأنت هذه الفئران يا "لوبين" ..

فقلت :

- ساكتفي منك بقبلة يا "جلوريا" ، ثم أذهب فاعيد السيارة إلى الحظيرة ، ولا أعود أفكر حتى في أنني قابلتك .

فهزت رأسها وقالت :

- وهل تتركني وحدي في هذه المرحلة يا "لوبين" ؟ لا أظنك تقدم على ذلك ..

- وأي دخل لي في هذا الشأن ؟ ألم تنته مهمتي .. ؟

- أتحسبني خطرة يا "لوبين" .. ؟

- بل أشد خطراً مما تتوهمين .. ساحاول أن أنساك فحاولي بدورك أن تنسيني .

وخطفت قبلة من فمها القرمزي الحار ، ثم أسرعت أرقى الدرج قبل أن تنثني عزيمتي ، ولكنني ما إن بلغت نصف الدرج حتى شاهدت في الضوء ساقا تمتد وتبينت قدما كبيرة تسدد إلى وجهي! وحاولت أن أروغ منها فهوت على كتفي بقوة جعلتني أتدحرج على الدرج ، ثم سمعت صوتا أجش يصيح بـ "جلوريا" :

- الله يا امرأة وإلا ...

وارتطم ظهري بالأرض وشاهدت رجلا يرتدي معطفا ويمسك بإحدى يديه فوق القفاز مسدسا ضخما ، ثم رأيت قبعته منحرفة على رأسه وتبينت عينيه تدوران في "الكيلار" بحذر ... وتوقف في منتصف الدرج ليستدير خلفه ويقول :

- تستطيعين أن تهبطي يا "ليل" .

ونهضت أتطلع إلى "جلوريا" وقد استلقى عند قدميها مسدسها الذي رمته من يدها مستسلمة .. وكانت تحملق إلى الزائر ، ثم رأيت نظراتها ترتفع وعينيها تتسعان في دهش فاستدرت لأرى شابة فاحمة الشعر سمراء اللون تهبط الدرج متبخترة كأنها (سندريلا) وهي تدخل عربتها البلورية الأنيقة ! وكانت عيناها واسعتين كقرصين كبيرين ..

وسرعان ما أزاحت الرجل جانبا ، ثم تقدمت نحو "جلوريا" وعلى فمها ابتسامة من النوع الذي يفلق الحجر الجرانيت فصاحت بها "جلوريا" كالنمرة الضارية :

- إن لك يا أختي العزيزة موهبة رائعة في العثور على الأشياء التي لم تكن ضائعة ولكنك ستندمين عليها يوما ما .!

وارتدت السمراء الجميلة خطوة إلى الخلف كأنما أخذت بذلك التهجم وتلك السخرية بينما تفرسني الرجل طويلا وأنا أنهض من كبوتي ثم صاح مبغوتا :

- هيا ؟ أنت "أرسين لوبين" .. السائق الذي شهد على "جوزيه"!

وقبل أن أفطن إلى نيته كان مسدسه يهوي بعنف على رأسي فترنحت وسقطت على الأرض والكيلار يدور حول عيني الزائغتين، ولكنني ظللت هادئا ووضعت يدي على وجهي أمسح الدماء باصابعي، بينما كانت أذناي تتنصتان فسمعت السمراء تقول للرجل:

- هون عليك يا "لاري" ولاتنس نفسك !

ولكن "لاري" العملاق وقف متصلب العضلات يحملق إلي بنظرة آلمتني أكثر من ضربته ثم قال معترضا :

- يجب أن أخلع له أسنانه فقد وشى بـ"جوزيه" ويستحق أن أقطع أذنيه !

وظللت على الأرض مؤثرا ألا أتعرض من جديد لاعتداء ذلك الوغد الذي عاد يصيح بي :

- قم .. انهض .. أيها السائق !!

واضطررت أن أقف على قدمي في حذر وعلى بعد يقرب من المترين منه وسرعان ماجذبتني السمراء المرحة الأعطاف بيدها الناعمة ، فرحت أتأمل جمالها كما أتأمل صورة حسناء على علبة شوكولاته.

ورايت في أغوار عينيها الحالكتين سحراً يلتمع وجاذبية تتالق ... إلى أن قالت :

- لقد تساءلت كثيراً يا "لوبين" عن سر تطفلك ووشايتك باخي زوجي . اتعتقد ان "جلوريا" جديرة بان تقحمك هكذا ؟!

وكان كلامها معسولا رغم مرارته . فقلت :

- أنا لا أدري ماذا تعنين وعم تتكلمين !

فافترت شفتاها عن أسنان ناصعة ثم هزت كتفيها . ونفذت في انفي رائحة العطر الغالي الذي يفوح منها ولا يمكن ان يوجد له مثيل في الأسواق العادية ، ثم انشات تقول :

- أنا اتكلم عنك وعن "جلوريا" . والواقع انني لاادري لماذا تزوجت "جوزيه" ولكنني اظن ذلك كان نكاية بـ"نيد كازينو"

ورنوت إلى "جلوريا" فوجدتها هادئة الأسارير مبهمة التعابير .. واسترسلت السمراء تقول

- اما لماذا تزوجت انا "مانويل سافيلا" فلكي اغيظ "جوزيه" اخاه .

وتاملت "لاري" العملاق ثم استطردت تقول :

إن "لاري" ولد طيب يفعل كل ما آمره به ويغني بي عند الحاجة.

وأدركت مبلغ حقد كل من المراتين على الأخرى لأسباب على اختلافها متشابهة

وظل "لاري" يتفرسني بعيني خنزير ، بينما قالت "جلوريا" تسال السمراء :

- وماذا يقول "مانويل" عندما يكتشف الحقيقة وانك تجرين خلفك "لاري" على الدوام؟

فصاحت بها :

- أانت التي تتكلمين عني يا قذرة ! لقد أفسدت ما بيني وبين "جوزيه" . وهاهي ذي فرصتي للانتقام . لقد ظل "لاري" يتاثر خطاك حتى دهمناك الليلة .. في الوقت المناسب !

ثم تطلعت حواليها في الكيلار وعادت تقول :

- أهذا أحد مخازن "جوزيه" الخاصة ؟ لقد احتفظت به لنفسك واتفقت مع "أرسين لوبين" على تصريف ما به .. "ارسين لوبين" الذي

دبر مقتل اختك بان اقلها إلى حيث كان "جوزيه" في انتظارها !!

ورنوت إلى "جلوريا" فرايتها تطرق إلى الأرض كانما يساورها الشك في الدور الذي لعبته في مصرع أختها . وسرعان ما قالت السمراء الجميلة :

- حسنا يا "لاري" فلنذهب بهما ورفع "لاري" مسدسه ثم قذفني بنظرة عدائية حانقة وصاح :

- الم تسمع ؟ هيا أمامي !

وتقدمت "جلوريا" بضع خطوات نحو الدرج ، ثم توقفت تسال:

- ما فكرتك يا "ليلان" ؟

فضحكت الحنطية اللون . ثم قالت ساخرة :

- سترين ... وقد تحسين وتخمنين .

وارتقت "جلوريا" الدرج وانا من خلفها ثم "لاري" مسددا مسدسه في ظهري ..

ومالبث ان قال لـ "جلوريا" :

- لاتجري أيتها السيدة إذا أردت ألا يصيب "لوبين" ثقب في ظهره..

فتمهلت "جلوريا" .. ثم وقفت في المطبخ تتلفت حواليها في اكتئاب بينما كنت أخرج من المدخل الخفي ... واعتزمت اكثر من مرة أن أركل "لاري" بقدمي ركلة تحطم وجهه الدميم ، ولكنني لم اكن واثقاً بجدوى ذلك فاقصيت ذلك الإغراء . وصعدت السمراء (ليل) وهي تبطئ في سيرها ثم دفعت الباب الخفي بقدمها فانصفق بصوت عال وارتفعت منه سحابة من الغبار وسحب "لاري" الستار المشمع البالي فوق الباب ثم نصب قامته وسأل وهو يشير بقدمه إلى الكيلار :

- من الذي زود "جوزيه" بكل هذه البضائع ؟

وظننته يحدث "جلوريا" ، ولكني تحققت من خطئي عندما لكز اذني اليسرى وقال :

- أنا أسالك أنت !

فقد كان رجلا لا يحب أن يكرر كلامه .. فبادرت "جلوريا" تجيبه قائلة :

- إن "لوبين" لا يعرف شيئا عنها .

فرنا إلى "ليل" وقال :

- لا يعرف ؟!

وسالته (ليل) ماذا خطر بباله ، فقال لها :

- إذن نستطيع أن نتصرف فيها دون إزعاج "مانويل" ، فهو مشغول جداً كما تعلمين

- وهل تقوى وحدك على ذلك يا "لاري" ؟

فاوما براسه وقال :

- بالاستعانة بعصابة "فنزبوري" إذ تستطيع ان تنقلها إلى برمنجهام أو مانشستر أو كار ديف .. ثم .. الا يحتمل انها تعلم عن مخابئ أخرى لـ"جوزيه" يمكن أن نتصرف فيها كذلك ؟ إنه مدين لك بالكثير .

- أوه .. دعك ممن يدينون لي أو أدين لهم ! إن فكرتك لا باس بها فحسب ، ولكن الا يحتمل أن يرجا التنفيذ في "جوزيه" .. ؟

- هذا مستحيل لأن "أرسين لوبين" قد أدانه بمالا يقبل اي شك.

فقالت "جلوريا" :

- وإذا قابله "مانويل" فاخبره ؟

فحملقت إليها السمراء وقالت :

- من السهل أن نحمله على الاعتقاد بانك انت التي تصرفت في كل شيء وابتسم "لاري" ابتسامة بغيضة وقال :

- يالك من فتاة رائعة يا (ليل) ! ولكن يجب أن نتخلص من هذين الاثنين ..

فما رايك في أن نجعلهما يظهران بمظهر المنتحرين وخصوصاً ان حوادث المنتحرين غدت (موضة) جديدة في هذه الأيام : سيارة في طريق ريفي .. وجثتان .. ومسدس في يد الرجل.. هذا كل ما يتطلبه الأمر !

- كلا .. كلا .. لقد حاول "جوزيه" أن يلعب هذه اللعبة فكان نصيبها الفشل والوبال .

- آه .. ولكن "جوزيه" كان مهملا فترك "لوبين" يتكلم

- كلا .. كلا .. لناخذهما معنا .

- وماذا تنوين العمل بهما يا (ليل) ؟ وإلى اين أخذهما ؟

- سوف نترك لـ"مانويل" تقرير مصيرهما بعد أن نتخلص نحن من هذه البضائع .. سنتركهما ليوم أو بعض يوم في متجر شارع باك أي إلى أن تطهر لنا عصابة "فينزبوري" المكان مما فيه .

ولا باس ان نقدم لـ"مانويل" هدية رائعة .. هي "لوبين" ! أما "جلوريا" فسوف يكون لها معه شان لانه كما تعلم يكره أن تعاديه الشقراوات !!

فرأيت "جلوريا" ترتعد .. ولم يرَ "لاري" أن يجادلها طويلا لانه تلقى الرد ، فمضى إلى الباب الخلفي وفتحه ، فإذا بالهواء البارد يهب إلى المطبخ وإذا بصوت مجلجل حاد ينبعث فجاة ، وإذا بالعملاق "لاري" يصيح بالألم والمفاجاة ويسقط مسدسه على الأرض !! وصاح يقرض على أسنانه بالغضب :

الفصل الثالث

وقدم "كازينو" يرتدي معطفا متسخا ويمسك في يمناه مسدسا من النوع الصامت الذي لايسمع لطلقاته دوي .. ومن خلفه ثلاثة أشباح أخرى .. عرفت منها شبحي "ستيف" و "فريد"، وظل الثالث غريبا عني إلى أن تحدث إلى "نيد" قائلا :

- يبدو أننا جئنا في الوقت المناسب !

فأدركت من لهجته أنه الأمريكي "هانك برودسون" الذي اشترك مع "نيد كازينو" في موقعة "بيب" ، وكانت عيناه حادتين ثاقبتين ، ولكن فمه كان مسترخياً ناعماً رقيقاً كفم طفل صغير .. يبتسم لأنفه باعث أو لغير سبب ظاهر .. ومالبث "نيد" أن خاطبه قائلا :

- إليك مسيو "أرسين لوبين" يا "هانك".

فأومأ برأسه إليّ وقال لي :

- سمعت أنك انضممت إلينا يا "لوبين" ؟

فتطلعت إلى "كازينو" لأجده يتحداني في جراءة أن أنكر هذه التهمة ، فلم أعترض بل راقبت "هنري ستيف" وهو يتقدم نحو "لاري" ثم يكيل له أعنف الصفعات بينما وقف "فريد" بالقرب من الباب ويداه في جيبي معطفه . وسرعان ما تبينت أن "كازينو" و"جلوريا" يتطلع كل منهما إلى الآخر ويتبادلان حديث العيون الذي تقصر عنه الألسنة ! ولم يفيقا من وجومهما الزاخر بشتى الانفعالات إلا عندما قالت "ليل" ساخرة :

- لماذا لايلتهم كل منكما الآخر ؟!

وإذ ذاك قال "كازينو" :

- أدخلهما السيارة يا "فريد" وقل لـ "هاري" أن يضبط نفسه ، وسوف نتبعكم : "هانك" وأنا، في سيارة "لوبين" فقد أحسن بإحضارها .

ورأيت المرأتين و"لاري" يخرجون إلى الظلام ثم يستقلون السيارة ، ثم قال لي "ستيف" :

- أخرج السيارة من الحظيرة .

وما إن فعلت حتى ركب "كازينو" ورفيقاه وأهاب بي "ستيف" أن أتبع زميله "هاري" الذي كان يقود السيارة الأمريكية الكبيرة في غير ماعجلة . وعبرنا لندن بأحيائها الكبيرة التي دمرتها .. الغارات شر تدمير .. ولم ينطق الراكبون خلفي بحرف إلى أن انحدرت جانباً في طريق "وست أنيد" فصاح بي "كازينو" :

- أطفئ أنوارك .. يا "لوبين".

وامتثلت لأمره كأنني أحد صبيانه . وعاد بعد لحظات يقول :

- قف هنا .. هذا يكفي .

وهبطنا .. فمضى "ستيف" إلى السيارة الأمامية وعاد بشيء مثبت على أذنيه ومتصل بصندوق مربع أمامه برز منه عود رفيع من الصلب أخذ يهتز كلما تحرك . ورأيت "فريد" يحمل مثل ذلك الشيء . فسألت : أي نزهة هذه ؟ ماحاجتكم إلى أجهزة الإذاعة هذه ؟

فالتفت "نيد" إليّ وقال لي باسما :

- نحن نجاري الزمن ونتمشى مع العصر .. يا "لوبين" . وهذه آخر الوسائل لتحاشي رجال البوليس .

وفتحنا نافذة جانبية لأحد المصانع فأسرع "نيد" يتسلقها ثم غادرنا لبضع لحظات عاد بعدها من باب دعانا إلى الدخول منه . وتقدمنا .. "برودسون" الأمريكي وهو يحمل مشعلا مظللا كأنما يعرف الطريق جيداً . وليس ثمة داع للعجب لأنه كان يحمل صورة تخطيطية للمصنع ومن خلفه سار "فريد" ثم المرأة ثم "لاري" وبقيتنا دون أن ينبس أحد منا ببنت شفة .

وكانت مهمتنا أشبه بمهمة الكوماندو .. وتطلعت إلى وجه "نيد" فألفيته شاحبا لاينم عن شيء وإن رأيته يمشي بخطوات رشيقة تدل على مبلغ اغتباطه لهذه المهمة . ونظرت إلى المرأتين فوجدتهما تسيران معاً صامتتين أشبه بشبحين على ستارة .. وكأنهما تتحركان بلا حياة ومن خلفهما "لاري" الضخم يضع منديله على يده اليمنى المخضبة بالدماء ...أما وجهه فكان مختفياً تحت ظل قبعته العريضة الحافة . وكان يجر ساقيه جر المكدود الذي يرهقه التعب بينما كان يرتجف من المسدس الذي يحمله "كازينو" في يده .

وبلغنا دهليزاً طويلا حجريا ثم دخلنا من باب خشبي عال إلى درج متآكل هبطنا عليه دون أن ينبعث وقع إلا من قدمي واقدام المراتين لأن الرجال الآخرين كانوا ينتعلون أحذية من المطاط . وتنقلنا بين صناديق عالية تصل إلى السقف المظلم ... واخيراً فتح "فريد" باباً آخر لنهبط درجا آخر خلفه ثم نسير خلال دهليز طويل أدركت من رطوبته اننا غدونا تحت مستوى النهر أو عند رصيف ميناء على البحر . وفي نهاية الدهليز وجدنا باباً مواربا ورأينا بصيصا من النور ، فركل "فريد" الباب بقدمه ثم غمغم ببضع كلمات إلى "ستيف" خلال مكبر الراديو «الميكروفون» ، واحتشدنا اشبه بحزمة لنحملق إلى ما كان في وسط الحجرة امامنا . فشاهدنا حارس الليل مقيدا إلى مقعد وقد كمم فمه ! وكنت أظن "كازينو" قد احكم خطته فإذا بي افاجأ بدوري بأن إنساناً سبقه وانتصر عليه ... إنساناً جاء قبله إلى هنا . وارتجفت أوصالي خشية أن يكون رجال البوليس هم الذين سبقونا إلى هذا المكان ، وشاهد "كازينو" رعدتي فقال لي ساخراً:

- هون عليك يا "لوبين" ولاتجعل عرقك يتصبب فتصاب في هذه الساعة ببرد !

وتطلع إلى ساعته ثم قال :

- سيتصل بنا "برت" بعد ثلاث دقائق ... تقريبا .

وتقدم "برودسون" الأمريكي إلى الحارس الليلي يتحس حباله ثم قال :

- هذا عمل هواة يا "تيد" لايجوز حتى على رجال البوليس ولايمكن أن يجوز علينا نحن !!

وسمعت "لاري" يغمغم ببضع كلمات مبهمة وقد برقت عيناه برعب لايعدل ما غشيه عندما فوجئ برؤية "كازينو" في بنسيون لارش ! ومضى "كازينو" إلى الحارس الليلي وانحنى عليه ثم راح يتأمل وجهه مليا .. كان وجها قذرا تتوسطه عينان صغيرتان تمتلئان بالرعب وقد نما شعر لحيته .. وارتفع صوت "كازينو" يقول :

- أنت "بيتر رولنجز" وإياك أن تضيف شيئا إلى روايتك لرجال البوليس التي اتفقتم عليها ، واحذر أن تذكر أسماء أو شيئا غير ما

تدربت عليه مع أعوان "سافيلا" .

فارتعدت أوصال الحارس وتولته غصة كادت تخنقه عندما تأمل المسدس في يمنى "كازينو" مسددا إلى رأسه فأطرق يائساً إلى الأرض . وفي تلك اللحظة رن جرس التليفون وأشار "فريد" إلى مكانه على منضدة خلف أكداس الصناديق ، فمضى إليه "برودسون" ورفع سماعته ، وتكلم هامسا بحيث لم نسمع شيئا مما قاله . ولما أعاد السماعة إلى مكانها عاد يقول في بطء :

- إن "برت" والأولاد اقتنصوا اللوريين ، عربتي نقل "سافيلا" ، عند المنحنى الأيسر لنهاية شارع باك، وكل شيء على مايرام تبعا للخطة المرسومة ..

فأخرج الأمريكي من جيب معطفه مفتاحا كبيراً بصامولة ناوله لـ"كازينو" الذي قدمه بدوره إلى "لاري" قائلا :

- خذ هذا المفتاح .. كلا .. بيدك اليمنى .. أزل هذه الضمادات!

ولم ترق المهمة لـ"لاري"، وألقى نظرة إلى "ليل" ولكنها كانت عابسة متجهمة الأسارير بادية الحيرة والارتباك وهي تتأمل "كازينو" وتكاد تمزقه بنظراتها.. وتطلعت بدوري إلى الشقراء فوجدتها واقفة في مكانها منتصبة القامة تحاول أن تستسلم لما يدور أمامها وأن تبدد الخوف الذي يستبد بها . وببطء .. خلع "لاري" منديله عن يمناه ، ثم أمسك المفتاح بقوة أملته ... وأشار "كازينو" إلى "رولنجز" ثم قال :

- اضربه يا "لاري" على جانب رأسه .. اضربه ولو أنه من رجالكم .

ولكن "لاري" صاح حانقا راعداً :

- إن بصماتي ستكون على هذا المفتاح ذي الصامولة اللعين؟

فاقترب منه "ستيف" وخاطبه ساخراً :

- يبدو أن نوبة من الذكاء قد اجترفتك فجأة أيها الوغد .

وتراجع "لاري" مذعوراً وهو يصيح :

- كلا .. كلا .. هذا فخ منصوب لإعدامي ولم ذاك ؟ صاح فيه "برودسون" الأمريكي قائلا :

- إما أن تفعل هذا أو نطلق على رأسك رصاصة من مسدسك. ثم يعثر عليك البوليس ويتشفى "سافيلا" عندما يدرك أنك جررت مسز

"سافيلا" إلى هنا لتنقذ جلدك .

ورأيت السمراء ترتجف ، وارتفعت يد "لاري" تمسح فمه المرتعش وتلطخ انفه بالدم ثم تأمل الحارس الليلي الموثق لحظة افاق بعدها إلى صوت "كازينو" الساخر يقول :

- إن "سافيلا" لايعرف الطريقة التي تتبعها في ملازمة "ليلان" كظلها ، ففكر جيداً فيما يعتقده عندما يجد العربتين الحاشدتين بالاقمشة والراديوات المعدة للتصدير لم تصلا إلى مخازن شارع باك ، ثم يجدك هنا مصابا برصاصة من مسدسك ! ماذا تظن "ليل" تستطيع ان تقوله لتنقذ جلدك ؟

فعصف الغضب بالسمراء وقالت ضارعة :

- لاتصغ إليه يا "لاري" هذا غير صحيح .. هذه لعبة قذرة إياك أن تتورط فيها !

وعندما سألها :

- كيف .. ؟

ازدادت غضبا وصاحت فيه :

- اتصدقني او لا تصدقني ؟!

فلعق شفتيه بادي الغباء ثم تقدم إلى الرجل الموثق . وحاول "رولنجز" ان يلوي رأسه بعيداً عن الأذى ولكنه بذلك اتاح هدفا كافيا للرجل الذي أهوى عليه ثم ألقى المفتاح على الأرض . ولم أبعد عيني ولم اتألم كانني اشاهد (فيلما) سينمائيا لان كل تفكيري كان منصبا في اننا بلغنا ذروة المغامرة الليلية العجيبة . وإن كنت وجدتني بعيدا عن مسرحها كانني اشاهد خلال ستارة غير مرئية اولئك الآخرين وهم ينصاعون إلى غرائزهم ودوافعهم التي لاصلة لي بها على الإطلاق . او هكذا خيل لي أن وجدت يد "جلوريا" تتشبث بذراعي ورأيتها ترنو إلي بعينيها البنفسجيتين وتقول :

- لاحق لهم يا "لوبين" في ان يفعلوا هكذا معك !!

ولم ادر ماذا كانت تعنيه بل لم اقو على البدء في التفكير فيما تهدف إليه قبل أن يتقدم إليها "كازينو" ويخاطبها في برود :

- في وسع "لوبين" ان يقرر ما يروق له فلا تحاولي إرشاده أيضا .

وحرت قليلا ثم ومضت بخاطري الكلمات التي دارت بين المرأتين في كيلار البنسيون وتذكرت كذلك أن "جلوريا" تحتفظ معها بالاوراق التي عثرت عليها في السيارة . وكان محتملا ان اقول شيئا لولا انها ظلت ترمقني بعينيها البنفسجيتين في رقة تفيض بكثير من المعاني ثم قالت :

- عد بي يا "لوبين" وأعد سيارتك فلا اريد أن أجلب عليك المتاعب بسببي .

وتصنعت أن تبدو كلماتها خالصة رغم ما كان يكلفها ذلك تحت سمع ونظر "كازينو" الذي قال لي برنة الأمر :

- انزلها يا "لوبين" عند هايدبارك ثم اعد سيارتك واذهب إلى مشرب جوني وابق به حتى يوافيك "هاري" . وابتعد عن شارع أفينو متذكراً ما جرى للقطة بسبب حب الاستطلاع !

فقلت :

- حسناً .

والقيت إلى الحارس الليلي نظرة عاجلة تبينت منها أن جلد رأسه مفتوح وتنبثق منه الدماء .. وسار "ستيف" بي وبـ"جلوريا" إلى السيارة .. وعندما اتخذت مكاني خلف عجلة القيادة سمعته يهمهم ببضع كلمات في مذياعه .واسرعت انهب الطريق بعد أحداث بضع ساعات مروعة ..

* * *

وقبيل بلوغي هايد بارك دقت "جلوريا" على الحاجز الزجاجي فابطات في السير ثم توقفت وإذا بها تدفع إلي في الظلام قصاصة من الورق وهي تقول في صوت شائق رقيق :

- اتصل بي تليفونياً بعد يومين يا "لوبين" بهذا الرقم فقد أحتاج إلى معونتك فقلت :

- ولكنني لست في مركز يسمح بان ..

ولكنها أجابتني ضارعة وهي منحنية إلى الأمام لانني شممت شذا عطرها :

- لاتقل الآن شيئاً يا "لوبين" .. ولا تفكر كثيراً ..

- ولكنك و "كازينو" ...

- كلا .. كلا .. ليس من العدل أن تسألني الآن يا "لوبين" .

ورغم ذلك ازددت غضباً وبدأت أنتقي فيضاً من كلمات الاحتقار التي يمكن أن تلدغها ولكنها ابتدرتني قائلة :

- من الخطر أن يعصف بك الغضب بلا داع حقيقي .

ثم التقطت أنفاسها كأنما يؤلمها الحديث ، ثم قالت ضارعة :

- أرجوك أن تفعل ما أطلبه منك يا "لوبين" .

واندفعت إلى هايدبارك حيث هبطت دون أن تنطق بحرف ، وظللت أرمقها وهي تعبر الطريق وقد ألهبت رأسي الشكوك ممتزجة بخيوط من الأمل .. حتى إذا اختفت عن ناظري ، مضيت إلى الحظيرة حيث أودعت السيارة ولم أجد "شارلي ريس" هناك .

فتناول مني أحد العمال السيارة دون أن ينطق بحرف مكتفياً بأن يصعدني بنظرة عابرة لحسن الحظ .

وأشعلت سيجارة ثم ذهبت إلى مشرب جوني ، وما إن فرغت من فنجان قهوتي الثاني حتى فتح الباب الزجاجي وظهر من خلفه "هاري" .. وقدم ليجلس بجانبي ثم طلب لنفسه فنجان قهوة، وأخرج علبة سجائره وقال لي من فوق لهيب قداحته بركن من فمه:

- سوف تقض مغامرة الليلة مضجع "مانويل" الذي أراد أن يسخر بنا ففوتنا غرضه عليه ..

فسألته :

- وكيف عرف "نيد كازينو" بغارة البنسيون ؟

وكان يتناول فنجان قهوته من الساقي ويطلب (شطيرة) .. فلما انصرف الرجل قضم ملء فمه من الشطيرة ثم قال ساخرا :

- يجب أن تجيد ما هو خير من إلقاء الأسئلة السخيفة !

وحرص على أن يحمل عبارته رنة المباسطة والصداقة ، ولكنني لمست رنة التحذير خلف هذه الصداقة وعولت على أن أكون حريصاً مادام أعوان "كازينو" ليسوا من النوع الذي تنساب منهم الكلمات في ساعات الفراغ بسهولة ، ومادامو يتشككون في كل إنسان .. فطلبت

شطيرة بدوري حتى إذا التهمتها مضينا إلى ميدان ليشستر حيث كانت سيارة صغيرة في انتظارنا ، وتولى هو قيادتها إلى شارع خلف محطة فكتوريا وهناك أودعها حظيرة ثم تقدمني إلى منزل كبير يتصدره عمودان ضخمان .. وفتح الباب بمفتاح (سقاطة) ثم ارتقينا درجا قاتما إلى أن بلغنا بسطة واسعة فتح عندها باباً آخر وهو يقول :

- يمكن أن تسمي هذا منزلا لبضع ليال يا "لوبين" .

وتأملني ونحن داخلان إلى الغرفة ليرى مبلغ ارتياحي إليها ، ولكني رحت أتلفت في أنحائها ، وكانت تضم فراشين متماثلين كأنهما توءمان ومائدة وبضعة مقاعد .. وكان أثاثها قديما ولكنه ثمين تتوفر فيه أسباب الراحة . وقلت في حذر :

- ماذا لو أن "رولنجز" لم يوضح أن "سافيلا" قد هيأ تلك الغارة وأصر على الإنكار ؟

فقاطعني قائلا وهو يغوص في أحد المقاعد :

- لن يحدث هذا ..

- وإذا حدث ؟ ألا يعتقد البوليس إذ ذاك أن "كازينو" مسؤول عن ...

فقال وهو يرمقني بعينيه ويخلع حذاءه بيديه :

- لن يقووا على إثبات شيء على "نيد" .

- وسوف لا يعثرون علي في غرفتي فيعتقدون أنني مختبئ وربما ساورتهم أفكار أخرى ...

وصمت لأنني أيقنت أن ما أرمي إليه لم يتجل تماماً فيما قلته ، إذ بدا الضيق على "هاري" وقال :

- إن "نيد" لا يحب المتشائمين ويحسن أن تدعه يرتب كل شيء حسبما يراه مادمت قد انضممت تحت لوائه .

ولكنني غمغمت قائلا :

- أنا لم أوافق على الانضمام تحت ذلك (اللواء)

- كذا ؟ ولكن ذلك يضمن لك عملا جديداً .

- أهو سواقة سيارة أعماله ، بينما تمضي أنت تقود سيارة ذلك

الامريكي؟

- لااظنه اختارك من بين الناس جميعا لهذا العمل وانما لا شك لسبب آخر وسرعان ما تجاهلني لياوي إلى فراشه ويسلم عينيه للنوم وفي الصباح تناولنا فطورا خفيفا كان "هاري" قد اعده قبل ان استيقظ في الساعة الثامنة . وبعد ساعة كنا في المكاتب خلف سوق شبرد حيث أعطاني "ستيف" عشرة جنيهات وعنوانا اذهب إليه بعد الغداء. فلما تنزهت على قدمي ساعتين مضيت إلى المشرب لاحتسي قدحا من القهوة وجاءني هناك فتحدثنا بعض الوقت وطالعنا في الصحف خبر سطو الليلة السابقة ونشاط سكوتلانديارد في البحث عن المشتغلين بالسوق السوداء! وأدركت أن حريتي لن يطول أمدها . وقرأ "فريد" مايجيش بخاطري فقال:

- لاتشغل بالك واترك كل شيء للحاكم .. "نيد كازينو".

وخرجت أتسكع قليلا إلى أن حان موعد الغداء فتناولته بشهوة فاترة ، ثم مضيت إلى العنوان الذي أعطانيه "ستيف" لاجده محل خياط للرجال . واستقبلني في الداخل رجل قصير القامة معسول الالفاظ منمق العبارات .. ولما افضيت إليه بسبب مقدمي ابتسم في وجهي ابتسامة عريضة وبالغ في الترحيب بي وهو يقول .

- لاشك انك مستر "ارسين لوبين" . تعال إلى الداخل . تفضل.

وقادني إلى حجرة داخلية ثم راح يخلع عني سترتي وصداري ثم ياقتي ورباط رقبتي ليقيس لي بذلة جديدة وهو يدندن مغتبطا كانما يؤدي مهمة حبيبة إلى نفسه ؛ ولم أشا أن أفاجئه بانني لا أملك سوى عشرة جنيهات إلى أن زودني بقميص ورباط وبذلة من أجود الانواع فقلت :

- هذا رائع جداً ولكنهم لم يعطوني ما يكفي من النقود لكل هذه الأبهة !

فحملق إليّ لحظة كانما ارعبته بحديثي ، ثم لوح بيده وراح يقضم أطراف شاربه الكث في قلق أزعجني ، ولكنه مالبث أن حدثني ضارعا :

- أرجوك .. أرجوك ألا تذكر النقود فانت قادم من عند "نيد" .. "نيد" الذي يرجع إليه وحده الفضل في انتشالي من وهدتي عندما كسدت

سوقي ولم اجد متراً واحداً من القماش . إن ما اقدمه له ولرجاله لايعدل ذرة من أياديه البيضاء علي وعلى امثالي .

ولم أدر بماذا أجيب ، فاطبقت فمي ورحت اتامل نفسي في المرآة وقد عدت مرة أخرى "ارسين لوبين" الذي كثيراً ماغزا قلوب النساء في باريس ولندن وغيرهما من العواصم . وعدت إلى المكاتب خلف سوق شبرد وانا احس بانني اشبه بشحاذ ببغداد قابل "هارون الرشيد" في عصر احد الايام فخلع عليه من ملابسه وكرمه ما خلق منه شخصا جديدا يخلب الأبصار والألباب !

وجعل "ستيف" يصعدني بنظراته ، ثم قابلت "بروسون" فبرقت عيناه إعجابا بي .. وبمظهري الذي ردني عشر سنوات إلى الوراء. وقال لي رجل قصير لم اره من قبل إن "كازينو" يرغب في مقابلتي ، فمضيت لاجده جالسا إلى مكتبه ، وبعد ان رنا إلي باسماً دعاني في رفق وتودد إلى أن أجلس ثم قدم لي علبة سجائره ، فجلست واشعلت سيجارة رحت انفث دخانها لحظات دون أن نتبادل الحديث . وأخيرا سالني :

- ماذا يقلقك يا "لوبين" ؟

فقلت متجاهلا " أهناك حقا ما يقلقني ؟

ولما أومأ براسه إيجابا قلت :

- هل أخبرك "هاري" بشيء ؟

- نعم .. ولتكن صريحاً معي فعهدي بك الجراة والإفصاح علانية عما يجيش في نفسك .

- لقد اخبرتني بالامس انك تريدني على أن اعمل معك وقد فكرت جيداً في السبب !

وانتهيت إلى نتيجة واحدة وهي أن السبب الذي افضيت به إليّ غير حقيقي

- وهل اهتديت إلي السبب الحقيقي ؟

فشعرت بغصة في حلقي سرعان ما تغلبت عليها وقلت في بطء:

- الذي فهمته أنك أردت العثور علي . قبل مسز "جلوريا" . هذا هو السبب

فضاقت عيناه وانفاسه ثم غمغم :

- هيا استمر .. تكلم .

- لقد اخبرتني مسز "جلوريا" انها ظلت تبحث عني عدة ايام إلى ان عثرت علي ولكنك وجدتني قبلها وكنت تعلم برغبتها في الاتصال بي فسبقتها إلى ذلك ليكون زمامي في يدك يا "كازينو".

فابتسم واضطجع بظهره على مقعده ثم قال :

- إما انك تحاول تحليل شخصيتي يا "كوبين" وإما انك تحاول فقط ان تخلق لي بخيالك شخصية جديدة .

- اتريد ان تقول إنني واهم ؟

- لنفترض انك لست واهما وانك نجحت في تحليل شخصيتي فماذا بان لك ؟

- بان لي انك تحب "جلوريا سافيلا" .

- اتعرف من هي ؟

- اعرف انها زوجة "جوزيه" واخت المراة التي قتلت في سيارتي . واعتقد انك كنت لديها شيئا مهما قبل زواجها من "سافيلا" .

- شيئا مهما ؟ ماذا تعني ؟

وشعرت من حديثه المتهدج وانفاسه المبهورة انه يناضل انفعالاته الدفينة فقلت متغابيا :

- لاادري بالضبط .. لاادري سوى انك كنت تهمها كثيرا .

- إنك رائع في الاستنتاج والاستدلال يا "كوبين" فما رايك الشخصي؟

فقلت وانا اخافت من صوتي :

- اظنك كنت تحبها يا "كازينو" وانها كانت تحبك ، بل لعل كلامنكما لايزال مغرما بالآخر ورايت قبضتيه تشتدان وظل صامتا إلى ان تراخت عضلاته المتوترة ثم سالني :

- وماذا يحملك على هذا الظن يا "كوبين" ؟

فاجبته وانا مازلت اتخير الالفاظ وانتقي العبارات :

- رغبتها في الا تذهب إلى السجن .

فنهض عن مقعده واستدار إلى النافذة بحيث لا استطيع رؤية

وجهه وما يعتمل في أساريره . وظل واقفا هناك وهو يوليني ظهره ويحملق إلى الشارع تحته . وطال وقوفه حتى حسبته قد نسيني ولكنه خاطبني اخيراً دون ان يستدير وينظر إلي :

- انت الذي اختارته ليحذرني وينذرني يا "كوبين" ؟

قلت صادقا :

- لاادري سوى انها طلبت إلي ان اعاونها في تصريف البضائع المختزنة في بنسيون لارش .

فزمجر قائلا :

- إن هذا المخزن احد مايعده "جوزيه" للأيام العصبية ؟

قلت :

- إنها في خطر داهم من "مانويل" ولعلك خمنت مبلغ الكراهية التي تحملها لها تلك السمراء عاشقة "لاري فينكس" .

فاستدار نحوي يتفرسني ثم اخذ يطيل تفرسه كانما يستشف ما يدور براسي واخيراً قال :

- إن المنزل المسمى بنسيون لارش قد جرد تماما يا "كوبين" من بضائعه .

- إذن ...

- ولكنه لم يدعني اتم حديثي بل اشار إلي ان التزم الصمت ثم استطرد يقول :

- كلا .. إن أعواني قاموا بالعمل جيداً ولن يتكلم "لاري" لأن المفتاح الذي ضرب به الحارس الليلي ماخوذ من سيارته التي اوقفها في طريق جانبي من شارع افينو .

وقد استعرنا هذا المفتاح ومازالت عليه بصمات أصابع "لاري" ولطخ من دم "رولنجز". قد يتوصل البوليس إلى معرفة دم "لاري" ولكن المفتاح اقوى دليل على اتهامه .. افهمت ولما أومات براسي استرسل يقول :

- ولن يتكلم الحارس الليلي لانه اخذ نقود "سافيلا" ويخشى ان يفتضح امره وسيظل "لاري" و"ليلان" صامتين مادام المفتاح في حوزتي .

- ولكن في وسعه ان يقول إن المفتاح اخذه شخص آخر من سيارته .

- هذا في وسعه ولكن ماذا عن بصمات يده ؟ كما أننا أطلقنا رصاصة من مسدسه قبل أن نغادر المخزن الذي اطلقت منه . وسيؤيد الاتهام الثقب الذي بيده وبصماته على المسدس ونقص رصاصة منه هي نفس الرصاصة النافذة في بعض خشب المخزن.. كلا يا "لوبين" إن "لاري" في مازق لا يقاس به المزرق الذي أراد أعوان "سافيلا" أن يضعوا فيه الحارس الليلي "رولنجز" .

وتلاقت انظارنا فقلت :

- أهذا لايمسني ولايمس "جلوريا" ؟

- بالتاكيد . ومتى تتصل بها

- وماذا يحملك على الاعتقاد بانني سوف اتصل بها ؟

فبدا عليه الغضب وقال عابسا :

- لماذا تظنني تركتك تاخذها في تلك الليلة وتقلها في سيارتك؟

فادركت ما يعنيه ولكن قبل أن يتسنى لي الرد . دق جرس التليفون على مكتبه فالتقط السماعة ثم مالبث بعد بضع لحظات ان قال :

- حسنا .. دعه يصعد .

وأعاد السماعة ثم التفت إليّ يقول :

- إن صديقا لك قادم لزيارتي يا "لوبين" .

قلت على الفور :

- كلا .. ليست "جلوريا" .

فالقى إلى وجهي نظرة عجيبة ثم قال :

- كلا .. ليست "جلوريا" ولكن المفتش "دافيدسون" .

الفصل الرابع

وحملق المفتش إلي عندما دخل الحجرة ثم أومأ برأسه وقال :

- مساء الخير يا "نيد" .

وتطلع إليّ يقول :

- لم اكن أتوقع أن أراك بهذه السرعة بعد أمس يا "لوبين" .

فاجابه "نيد" :

- تفضل فاجلس هنا . ألك في سيجارة ؟ هذه فرصة سعيدة فقد انقضى وقت طويل منذ أن تكرمت بزيارتي لآخر مرة .

وتناول المفتش السيجارة فاشعلها ثم قال له :

- اعتقد انك تعرف سبب زيارتي اليوم ..ولعلك قرات عن حادث المخزن الذي وقع في الليلة الماضية ؟

- قرات عنه شيئاً في الصحف .

- وعن الحارس الليلي ؟

- اظنه ضرب أو شيئا من هذا القبيل .

- نعم . وما زال في المستشفى حيث خيط له رأسه . ويبدو أن الضربة أثرت في ذاكرته .

- أكانت الضربة قاسية إلى هذا الحد ؟

- كانت قاسية . ولكني أعتقد أن ضعف ذاكرته يرجع إلى خوفه... إلى تهديد صدر إليه من الجاني .

- وهل تظنني أعلم شيئا عن هذا الحادث ؟

- إن لم يكن هذا فهل لك أن تخبرني متى رأيت لآخر مرة صديقك "برت مايلاند" ؟

- صديقي ؟ ومتى كان صديقي ؟

- أليس كذلك ؟ لقد أخرجته مرة من السجن ومثل هذا الفضل عليه يجعلك صديقا له بلاشك .. أرايته في الليلة الماضية ؟

فتظاهر "كازينو" بالاستغراق في الاهتمام والتفكير ثم هز رأسه وقال :

- كلا .. لم أره في الليلة الماضية . وماذا يحملك على هذا الظن؟
- كان من حسن حظه لو انك رايته بالأمس .
- كيف ؟
ولكن المفتش تشاغل بتدخين سيجارته فعاد "كازينو" يقول :
- اظنني اعرف من يستطيع أن يخبرك اين كان "برت" في الليلة الماضية .
- من ؟
- سكرتير نادي النجوم الثلاثة .. اتصل به تليفونيا إذا احببت.
واشار "كازينو" بيده إلى التليفون ، فاوما المفتش برأسه وقال:
- اظن ذلك يا "نيد" شكراً .. الديك رقم التليفون ؟
- ستجده في ملفاتنا . دقيقة واحدة .. ساذهب واجيئك به .
ونهض وهم بان يخرج من الباب فقال له المفتش :
- لا تتركني يا "نيد" فليس الأمر ضروريا ولاداعو لخروجك إذ نستطيع الوصول إلى الرقم في ذلك الدليل
ولم يبد على "نيد" انه رجل لم تجز مناورته على احد بل عاد يبتسم بادي المرح ثم قال هذا صحيح. ما اغباني حقا ! وامسك المفتش بحرفيه الكلمات فقال :
- انت لست غبياً يا "نيد" ولكنني اظنك حسن الحظ جداً ولاعيب في الحظ سوى انه لا يهادن دائماً ولايلازم صاحبه إلى الابد .. الم يدر هذا بخاطرك قط ؟
فاجابه "كازينو" ضاحكا وهو يقلب صفحات الدليل باصابعه :
- كثيراً .. كثيراً جداً .
ولما عثر على الرقم ناول المفتش الدليل فادار قرص التليفون وما لبث ان اعلن من هو ثم سال عن "برت مايلاند" . وبعد فترة قضاها في الإصغاء غمغم بضع كلمات أعاد بعدها السماعة إلى مكانها .. وكان "كازينو" يرقبه من ركن عينه فساله :
- هل من فائدة ؟
فاجابه المفتش :
- شيء مضحك للغاية فقد اكد لي سكرتير النادي أن "مايلاند" كان

في النادي إلى ساعة مبكرة من هذا الصباح !
- وماذا يضحكك في هذا ؟
وفجاة شعرت بجو المكتب يتوتر ويتضطرب .. وتوقعت ان تهب العاصفة في اي لحظة وإن لم يبد على وجه الرجل ماينبئ بقرب هبوبها . وقال المفتش وهو يعقد ذراعيه على صدره :
- هذا شيء مضحك لعدة أسباب يا "نيد" .. منها مثلا أن رجلين اخرين ذهبا إلى المستشفى في الليلة الماضية .. رجلين معروف عنهما اتصالهما بـ"مانويل سافيلا" .. ويقول احدهما إنهما صدمتهما عربة نقل (لوري) في ساعة متاخرة من الليل كما افضى إلينا برقم هذا اللوري
- لابد انه حاد البصر ..
- نعم في الواقع .. وكان الرقم لإحدى العربتين المسروقتين من موقف شارع جرينورث من ثلاث ليال فهل تعتقد يا "نيد" ان هذا من قبيل المصادفة المحضة ؟
- صراحة كلا .. ولكن هذه قصتك انت .
- ولكني اعتقدها محض مصادفة وساخبرك بالسبب .. ذلك ان الرجل الذي لم يتكلم عندما ادخل المستشفى وجدت بين أصابع يده اليسرى قطعة امامية من قميص ومعنى هذا انه تشاجر مع إنسان اخر وجذبه من قميصه قبل ان يصرعه خصمه
- الم تقل إن "لوريين صدماهما" ؟
فابتسم المفتش وقال :
- هو ذلك فلا تشوش القصة بطريقة ما ..
- لست اكره قدر ما تتوهمني فاعله ..
- قلت لك إن قطعة امامية من قميص وجدت في يده ولم نخبر احداً ممن لهم صلة بـ"سافيلا" ..
- اظنني فهمت ما تعنيه ..
- انا واثق بذلك كل الثقة يا "نيد" ولكن هنا تبدا القصة في التعقد لان "برت نيد" في المستشفى كذلك ..

وكانت لهجة المفتش هينة لينة معسولة وكان ينطق الكلمات في تؤدة وبطء وعيناه لا تغادران وجه "كازينو" كأنما يقرأ ما يعتمل في رأسه ويستشف ما يجيش في قرارته .

وهز "كازينو" رأسه ثم قال :

– الواقع أن هذا عجيب

– هذا ما ظننته

ولم أدر ماذا يعني المفتش بذلك ، ولكني كنت أدرك مغزى المحاورة والمداورة بين الرجلين ، وقال "كازينو" في رنة رثائية :

– صدره ؟

فهز المفتش رأسه وقال :

– كلا يا "نيد" .. ليس في صدره ، وما كنت أعلم أن صدره ضعيف ، بل الأمر أبلغ خطراً من ذلك ، وأغلب الظن أنه وضع في عصارة جديدة جامدة ولا أظنه يقوى على استعمال قدميه قبل انقضاء شهور ، بل لعله لن يستعيد قدرته على السير على قدميه مرة أخرى .

وأخلد كلاهما للصمت .ورأيت أولى قطرات العرق تتجمع على جبين "كازينو" وقد تحجرت عيناه" وأنا واثق أن المفتش رأى تلك القطرات المتصببة كذلك ولكنه لم يظهر عليه الانتباه إليها .. وغمغم "كازينو" قائلا :

– مسكين هذا الرجل .

فقال المفتش :

– إن حالته أسوأ من ذلك ، فربما مات "مايلاند" ، وإذا حدث ذلك فلست مسؤولا فضاقت عينا "كازينو" وضغط شفتيه في غيظ.

ثم قال :

– أجئت خصيصا لتقول لي هذا ؟

غير أن المفتش حافظ على هدوء صوته وبطء حديثه ، فقال :

– أوه .. كلا يا "نيد" .. فقط كنت ماراً من هنا ورأيت أنه قد يهمك أن تعلم هذه الحقيقة المهمة ، وهي أن موت "مايلاند" سيكون معناه أن ثمة جريمة .

– لماذا ؟

– لأنه عندما عثر على "مايلاند" كانت قطعة من صدر قميصه ناقصة.. ومن عجب أن هذه القطعة وجدت في يد الرجل الآخر ! والأعجب من ذلك يا "نيد" أن سكرتير النادي مصر على أن "مايلاند" ظل هناك حتى الساعة الثالثة يتحدث ويثرثر ويضع خطة المباراة الجديدة مع فرقة من الأندية الأخرى !

ولم يقل "نيد" شيئا عند ما توقف المفتش عن الحديث كأنما ينتظر بقية القصة واستطرد المفتش يقول :

– ولكنه وجد في الثانية والنصف في أرض فضاء على بعد نصف ميل من منزله عثر عليه كونستابل هناك وحمله إلى المستشفى بسرعة عندما رأى حالته تستدعي الإسعاف السريع . هذا كل شيء يا "نيد" .

واستطاع "نيد" بقوة إرادته أن يقصي عنه الذهول الذي تملكه، واغتصب ابتسامة واهنة ثم قدم علبة سجائره قائلا :

– ألك في سيجارة أخرى ؟

فأجابه المفتش وهو ينهض ويرتدي قبعته :

– لا.. شكرا يا "نيد" .. يكفي ما أضعت من وقتك الثمين

وتلفت حواليه ثم قال :

– أثاثك وثير جدا يا "نيد" ويتناسب مع شهرتك ... أما سيارتك الأمريكية فأفخم سيارة في لندن كلها .

فأجابه "نيد" نافد الصبر

– هكذا وصفتها الصحف .

والتفت المفتش إلي يقول :

– وأنت يا "لوبين" . لقد أغضبت مدير الشركة بأن استعدت سيارتك القديمة في الليلة الماضية لبضع ساعات دون ترخيص منه! وللمناسبة.. ألم تقترب بها مصادفة من الايست اند ؟

واغتبط "نيد" عندما أجبت المفتش قائلا :

– إن ما لقيته سابقا من متاعب جعلني آخر من يتصيد الشواغل من جديد .

وابتسم المفتش ثم قال :

– هذا ما كنت أظنه من أيام قلائل ، ولكنني لا أكاد الآن أصدقك

وانت تعلم ان نشاطك يضيع كثيراً من وقتي في التفكير المضني خصوصا بعد ان بحث رجالنا في أرجاء سيارتك القديمة ولم يعثروا فيها على شيء مما أعتقد أنك و"جلوريا" قد اهتديتما إليه فقلت :

- لم أعثر على شيء ، وكانت "جلوريا" تبحث عن ورق يهمها ، ولا اظنها وجدت ضالتها المنشودة .

- حسبك أن وجدت أنت ضالتك المنشودة .. وهي العمل لحساب مستر "كازينو" فتولى "كازينو" الدفاع عني قائلا في خبث:

- إن عمله عندي لايعدو القيادة التي يجيدها وهو كما تعلم من خيرة السائقين .

فأجاب المفتش في رقة أمكر وأخبث :

- وخير فضائله انه يعرف لندن جيداً أكثر من ابنائها .

- هذا شأن كل السائقين فهم جميعاً يعرفون لندن ولايجيزون لهم في اسكوتلانديارد أن يمتهنوا القيادة بغير هذه المعرفة .. أليس كذلك؟

وقبل أن ينصرف المفتش بادي الحنق قال لي :

- من حسن حظك يا "لوبين" أن وجدتك إذ أغنيتني عن البحث عنك والتساؤل عن مخبئك ..

وما إن خرج وصفق خلفه الباب حتى تقدم "كازينو" نحوي واقترب بوجهه من وجهي ثم قال :

- ما سر اهتمام "جلوريا" بأن تأتيها بسيارتك القديمة ؟

ولم يرقني ما كان يومض في عينيه من تهديد ووعيد ، فظللت صامتا ، وقرض على أسنانه وتقلصت عضلات وجهه ثم أمسك برقبتي وصاح :

- قل .. تكلم .

ورثيت لهياجه فقلت :

- أظنك سمعتني أقول لمفتش البوليس إنها كانت تبحث عن شيء يهمها لم يعثر البوليس عليه في أثناء تفتيشه ..

- وهل وجدته هي ؟

- لاأدري .

- فهزني كأنما يريد أن يقتلعني من مقعدي وهو يرعد :

- لاتكذب علي يا "لوبين" .. لاتكذب بالله علي يارجل !

فقلت صادقا :

- أنا لا أكذب ثق بأنني لا أعرف سوى أنها عثرت على ورقة في فجوة لوح النافذة الزجاجي .. ولم أسألها ماذا كان في تلك الورقة لأن الأمر لايعنيني في كثير ولأنها لم تتطوع بإخباري .

وود لو يصدقني - كما رأيت - ولكن الظروف لم تكن مما تجعله يقوى على الاعتقاد بصحة ما أقول .. نعم ظروفه التي يعيش فيها دائما وسط عالم مشحون بالريب والشكوك والمظان فقال :

- لقد كنتَ معها في طريقكما إلى هايد بارك في السيارة فماذا قالت لك ؟

وكان يعتصر راحة يمناه في يسراه لفرط انفعاله وهياجه ، لأنه كان يعلم أن العنف معي إن أجدى يوما فلن يجدي أياما ، فقلت في غير مواربة :

- كانت شديدة الاكتئاب بحيث أخلدت إلى الصمت .. هذه هي الحقيقة يا "نيد" فوفر عليك الجدل .

- إذن فقد لعبت عليك كعادتها في العبث بكل إنسان !

ووقف واجما ظاهر الألم والتبرم والضيق ثم انفجر قائلا :

- سوف تطعمك الوحل وسوف تتخذك مطية للنيل مني كما فعلت مع "جوزيه سافيلا" الذي تزوجته ، كما أن أختها .. شقيقتها .. ماتت لأن ...

وأمسك أنفاسه المبهورة ، فوثبت على قدمي بدافع غريزي لم أملك مقاومته ثم أنشبت يدي في كتفيه ودفعته إلى مكتبه صائحاً :

- دعها لشأنها وكف عن إيذائك نفسك بالاهتمام بأمرها ! وإذا كانت لاتستحق منك هذا الاهتمام فأنت طائش أحمق .. أما إذا كانت جديرة به فأنت أكبر طائش !

وعدت أغوص في مقعدي واضعا وجهي بين كفي وقد تملكني الأسى، وسمعته يتحرك ثم يقول :

- أريدكم جميعاً هنا لأن العاصفة تهدد رؤوسنا

وخيل إلي من صوته أنه انقلب من ذلك الرجل المعذب منذ دقائق إلى الداهية الذي لايقف شيء في طريقه ولاتنهض عقبة في سبيل إرادته..

الفصل الخامس

وسرعان ما دخلوا الحجرة واتخذوا مقاعدهم في صمت وترقب كان على رؤوسهم الطير .

وكان "ستيف" يمضغ عود ثقاب في هياج فور أن قدم مع "ونجيت" وسمع بزيارة المفتش .

وحضر "فريد" و"هاري" السائق الذي تومض عيناه نصف المغلقتين بالدهاء ، وكذلك قدم "هانك برودسون" (الأمريكي) بقامته الطويلة وابتسامته الزئبقية . ورأيت الرجل القصير الذي كان قد أدخلني إلى مكتب "كازينو" ثم علمت فيما بعد أن اسمه "ويناك" وأنه مستشار "كازينو" ومدير شؤونه المالية الخاصة بالمشروعات الخفية والمغامرات .

وتطلع إليهم "كازينو" بهدوء وهو جالس إلى مكتبه . وظلوا يرنون إليه في انتظار أخباره السيئة ولم يشأ أن يطيل قلقهم فاستدار أولا إلى الأمريكي قائلا :

– عندما تلقيت في الليلة الماضية المحادثة التليفونية مع "برت"، ماذا قال لك ؟

فتطلع كل واحد من الحاضرين إلى الآخر ثم إلى الأمريكي في قلق لمجرد أن الأخبار تدور حول "برت مايلاند" . وقال الأمريكي عابساً متجهم الأسارير :

– فقط أخبرني أن المهمة انتهت على مايرام وأنهم فرغوا من سائقي "سافيلا" ببعض العنف وأن اللوريين والبضائع في طريقها، وكذلك أخبرني بأنه سيعود على الفور إلى منزله لأن زوجته تتوقع أن تلد فوافقت له .

ونظروا جميعاً إلى "كازينو" وإلى الخيوط المرتسمة حول عينيه فقال:

– لاأظن أن "برت" بلغ منزله ، وعلى أية حال ، علم "سافيلا" بما حدث فأرسل أعوانه إلى "برت" يدهمونه في فلاة من الأرض . ولحسن الحظ نقل إلى المستشفى قبل أن ينق كالضفدع .

وتوقف لحظة عن الحديث وقد انتهبته العيون في صبر نافد ثم عاد يقول :

– وقد تمزق صدر قميصه في أثناء الشجار مع سائقي اللوريين، وعثر رجال البوليس على هذه القطعة الممزقة من قميصه في يد أحد السائقين فإذا مات "برت" كانت هناك جريمة ضرب أفضى إلى موت وطال التحقيق وتعددت الأسئلة .. وأنتم أدرى بمعنى هذه الاستجوابات والتحقيقات . أما إذا لم يمت "برت" فسوف يكون لنا كل الحق أيضا في إعطاء "مانويل سافيلا" درساً لاينساه .

وبدا عليهم جميعا الحنق والغيظ والهياج .. وأيقنت أن كلامنهم يتحرق على الثأر والقتل بيديه إذا مات "برت مايلاند" . واستطعت أن أقرأ هذه العزيمة متجلية في وجوههم وهم يراقبون "كازينو" الذي عاد يقول :

– نعم . سوف نلقنه درسا .

ثم راح يرقبهم بدوره وهم يرغون ويزبدون ويتبادلون الوعد .. بل الوعيد .. بأن يثأروا لـ"برت" شر ثأر .. حتى إذا وجد "كازينو" أن مرجل الغضب قد خفت حدته قليلا في نفوسهم دق جرسا فوق مكتبه ، فعادوا جميعاإلى مقاعدهم وهدوئهم وصمتهم المطبق من جديد . وارتفع صوت زعيمهم يقول :

– يجب أن نحافظ على رؤوسنا بمضاعفة الحذر والدهاء فأنتم تعلمون جميعا أن المفتش "دافيدسون" كان هنا وأنه لن يهدأ له بال حتى يلصق بنا الأدلة المادية الدامغة التي لاتحتمل أي شك لاتهامنا . وقد رأيت في أثناء حديثه معي أنه واثق كل الثقة بأنه بدأ يمسك بطرف الخيط ولذلك يجب أن نحترس وأن نعتني بكل صغيرة وكبيرة وأنت يا "ستيف" تعرف من يعملون مع "برت" .

فأجابه "ستيف" وكان من قبل يتطلع إلى أظفار أصابعه :

– نعم أعرفهم ومعظمهم يقيمون حول "بريكستون" . وجميعهم يدينون لـ"سافيلا" بالمقت والكراهية ولكن .. ماذا عن مسز "مايلاند" زوجة "برت" ؟

– لن أنساها ولكن قل لي .. هل تستطيع الاتصال بأحدهم ؟

- هذا يحتاج إلى بعض الوقت .

- إلى كم ؟

- إلى يوم أو يومين .

- حسنا . وليكن ذلك باسرع ما تستطيع لتخبرهم بما حدث لـ"برت" وبانني سأتولى بنفسي في هذه المرة علاج "مانويل" :

ونهض "برودسون" على قدميه يقول :

- أوضح لنا يا "كازينو" ما تعتزم عمله .

فنهض "كازينو" بدوره وتطلع إلى الوجوه الرانية إليه ثم قال :

- إن "سافيلا" يعرف مبلغ مايلحق بمؤسسته من اضرار وهو ينفق الكثير ليجني القليل لان فوائده تضيع في استجلاب ولاء عصابة "فنزبوري" وعصابة "الجيت" . وهو يعمل الآن على تقسيم لندن إلى مناطق يسيطر عليها اعوانه وبذلك يتمكن من تكرار غاراته ومضاعفة اسلابه فوائده .. ولكن ما دمنا نستطيع أن نحرمه كل ما يسرقه فسوف نحبط كل مشروعاته . وهو يعلم جيدا ما اعتزمناه وخصوصا بعد الحادث الأخير ولذلك فالغضب يعصف بوجدانه بل يخرجه عن عقله وها هو ذا قد قدم لنا (عينة) مما يجب أن نتوقعه منه بان هاجم "برت" فور أن تلقى الأخبار عن غارتنا .. وكان هجوما قاسيا قد يكلف "برت" حياته .

وإذ ذاك تحدث "وبناك" (المدير الإداري والمالي) قائلا :

- الواقع اننا يجب علينا أن نحتاط وان نتخذ كل الحذر فإننا نمد رجالا لفظتهم السوق السوداء .. نمدهم بالأثمان العادية في السوق المشروعة مما يجعل مكاسبنا محدودة .

فقاطعه "كازينو" وهو يشير إليّ :

- أظن "ارسين لوبين" لايصدق ما تسمعه اذناه لانه يعتقد اننا أوغاد ولصوص وأننا نبتز أموال الناس لنعيش عيشة اللوردات .. أليس كذلك يا "لوبين" .

فتطلعوا جميعهم ناحيتي فقلت :

- وهلا تتفق الغارة التي شننتموها في الليلة الماضية مع ما قد أعتقده ؟

- وتولى "برودسون" الرد علي فقام يتكئ على حافة المكتب ويقول :

- اصغ إلى يا "لوبين" ! لقد رسمنا خطتنا للسطو على لوريات "سافيلا" بعد أن غادرت مخزن (إيست إند) مليئة بالبضائع المسروقة . وقد اغدقوا العطاء للحارس الليلي "بيتر رولنجز" ليدعهم يسرقون ما في المخزن بعد أن يكمموه ويوثقوه إلى مقعده . أرأيت ؟

ولما أومأت برأسي استطرد يقول :

- لن أخبرك أين ذهب اللوريان وسوف تقرا ذلك على الأرجح في الصحف غداً أن احدهما وجد في مكان في الجنوب الغربي وأن الآخر في ميلاندز أي على بعد ثلاثمائة وعشرين كيلو متراً من الآخر .. وستقول الصحف إن اللوريين وجدا خاويين ، ولعلك تحب أن تعرف أين ذهبت البضائع التي كانت فيهما .. أليس كذلك يا "لوبين" ؟ هناك تجار صغار كثيرون ممن خدعوا ببطاقات مزيفة ويجب أن يتلقوا بعض المساعدة ، وهناك آخرون سرقت بضائعهم ولاتستطيع شركات التامين ان تجيئهم بما يعادل المسروقات ، وهناك آخرون كذلك أفلسوا....

فقاطعه "كازينو" قائلا :

- هذا يكفي يا "برودسون" فقد أخذ فكرة عامة وبقيت بعض التفاصيل التي أحب أن أضيفها لمسيو "لوبين" وهي أن أولئك التجار سوف ينالون المعاونة بطرق مشروعة .. عن طريق تجار معترف بهم ولهم أسماء في السجل التجاري ولذلك لن يحتاجوا إلى التزوير في دفاترهم وحساباتهم .. وقد استغرقت إقامة مثل هذه المؤسسة وقتاً طويلا ويكفينا فخراً اننا استطعنا بهذا النظام أن نمكن الجمهور من الحصول على البضائع المسروقة وأن نعيدها إليه بالأثمان الرسمية

قلت وقد تأثرت بقوة حديثه :

- هذا كله حسن جداً ولكن ماذا عن "برت مايلاند" وزمرته أليسوا مجرمين أو لصوصا ؟ هذا فقط ما أحب أن أعرفه ..

واحسست بالانظار القذرة تلهبني من كل ناحية وبادر "كازينو" يقول:

- لارذيلة يمكن إلصاقها بهم سوى أنهم يخالفون القانون ولكننا

جميعاً نضطر أحياناً إلى خرق القوانين .. وانت اول من اجترح هذه المخالفة وهذا الخرق في اكثر من مرة وضميرك مرتاح كل الراحة .. أليس كذلك يا "ارسين لوبين" ؟!

وحاولت أن اتكلم فلوح لي بيده أن أسمعه ثم استطرد يقول :

– هذا يتوقف على القانون الذي يخرق لأن القوانين ليست كلها سليمة رغم ماحاوله واضعوها من توخي العدالة ، ولولا ما يسلم به رجال القانون انفسهم من نقص بعض القوانين لما اوجدوا للمتقاضي فرصة الاستئناف والنقض ، ولولا ذلك ماعقدت اللجان من حين إلى آخر لتعديل القوانين لتساير الزمن وتخلو من وجوه الحيف او النقص ..

ولوح لي مرة أخرى لأخلد إلى الصمت حتى يتم حديثه ثم استرسل يقول :

– ولعلك تعرف المثل القائل «كم في الحبس من مظلومين» بسبب ما يتفشى في كل العالم من شهادة الزور كما تعرف أن كثيرين ممن يخرقون القوانين ويعيشون بالأمن في مأمن تام لعدم كفاية الأدلة على اتهامهم او للعجز عن الحصول على الشهود اللازمين .. ولعل العدالة البريطانية أشد العدالات تمسكا بضرورة الشهود لإمكان الحكم على الأشرار بالعقاب الذي يستحقونه ، وهذه (موضة) آن ان تعدل او تلغى.

قلت :

– أتعني أنك لا ترى حاجة إلى الشهود ؟

– أنا لم أقل ذلك إطلاقا ولكن هناك بعض قضايا يمكن الاستغناء فيها عن شهادة الشهود ...

وبعد جلسة دامت حوالي نصف الساعة انفض الجمع بعد أن وافقوا جميعاً على ضرورة اتصال "ستيف برجال "مايلاند" في بريكستون و على أن يُلقى درس رادع على "مانويل سافيلا" . ونهضت معهم ، وقد تأثرت بعض التأثر الذي يرجوه "كازينو" . ولما مضيت نحو الباب استدعاني قائلا :

– الديك مانع يا "لوبين" من أن تقلني إلى ستوكويل ... أي فيما بعد

بريكستون ؟

فاومات برأسي وقلت :

– كما تشاء ..

– إن منزل "برت مايلاند" هناك واريد أن اتحدث قليلا إلى زوجته، ولكني لا أحب أن يعلم بذلك الآخرون فلا تقل لهم شيئاً .

– أتتوقع اعتراضا منهم ؟

– ربما يرون ذلك بعيدا عن أسباب الحذر والتوقي ؟

– أولا تعتقد ذلك مثلهم ؟

– أوه يا "لوبين" ؟ إنك كثير الأسئلة

– ولم لا يكون سؤالي بدافع من ضرورة الحذر اللازم لسلامتي؟ .. ماذا لو فوجئنا هناك ببعض المتاعب ولم نجد من يخف لنجدتنا ؟

– إذن سأخبر "هانك برودسون" .

واعجبني منه أن يقتنع بسهولة رغم شدة اعتداده بنفسه ومواهبه.. ولكن ما إن علم "هانك" بهذه الزيارة حتى أصر على مرافقتنا فمضينا نحن الثلاثة إلى حظيرة في شارع خلف منتزه سانت جيمس . وهناك أعطيت لي سيارة خيل إليّ لأول وهلة أنها عاشت أضعاف عمرها ، ولكن ما إن جلست خلف عجلة قيادتها حتى أدركت أنني لم أسعد في حياتي بسيارة مثلها ومضيت بها خفيفة إلى كننجتون ثم عبرت جسر وستمنستر بينما كان "هانك "برودسون" و "كازينو" يتحدثان خلفي ولا يهتمان بخفض أصواتهما فسمعتهما يذكران أسماء رجال وأمكنة ويشيران إلى أمكنة الاجتماع وصفقات تجارية في صراحة وعلانية وفي غير تحفظ .. وظللت انصت طوال الرحلة حتى إذا اقتربنا من برج الساعة في ستوكويل انحنى "نيد" إلى الأمام وألقى تعليماته إلي ، فمضيت إلى الأمام ثم إلى طريق جانبي من مئات الطرق التي دمرتها غارات الألمان ، وأصبحت شركاتها ومصانعها دوراً مهدمة.. وأخيرا أوقفت السيارة في المنعطف التالي وقال "كازينو" وهو يتأمل ساعته :

– انتظر أنت هنا يا "هانك" . وإذا لم نعد بعد ساعة فتعال وابحث عنا ..

ولم يعترض الأمريكي ولكنه قال :
- إن ساعة مدة طويلة جدا !
فرد عليه "كازينو" قائلا :
- اعرف ذلك ولكن محاضرتي طويلة كذلك وربما كان لدى "لوبين" مايقوله ايضا .
- حسنا ، كما تشاء .
وتأمل ساعته ثم قال :
- سألحق بكما إذا انقضت ثانية واحدة على الساعة المحددة
وعدت مع "كازينو" إلى شارع كلافام فعبرناه إلى الشارع المقابل ، ثم اتجهنا إلى اليمين في طريق زاخر بالأولاد الذين لايجدون متنزها لألعابهم ! وفي نهاية ذلك الطريق اتجهنا إلى اليسار بمحاذاة الطريق العام . ودفع "كازينو" بوابة حديدية قديمة للمنزل الرابع ثم طرق بابا أخضر اللون .. وسرعان ما تناهى إلى أسماعنا وقع أقدام في الردهة الداخلية الضيقة ، ثم فتح الباب وظهرت خلفه امرأة منحنية الظهر قصيرة القامة بيضاء الشعر .. وألقت نظرة عابرة إلي ثم راحت تتفرس في "كازينو" ووجهه الجميل ، ثم سألت :
- ماذا تريدان ؟
فأجابها في رفق :
- أحب أن أتكلم مع مسز "مايلاند" في أمر عاجل
فرفعت المرأة يداً معروقة إلى وجنتيها لتدفع خصلة من شعرها الأبيض جانبا ..
وسقطت الخصلة إلى مكانها الأول بعد لحظة ولكن المرأة لم تفطن إلى ذلك وقالت في لهجة متحدية وهي تحملق إلى "كازينو" :
- إن ابنتي نائمة ولايمكن إزعاجها .
- وعاد "كازينو" يقول :
- ولكني أرجوك ..
- فصاحت فيه بصوت حاد :
- من أنت ؟ وما اسمك ؟
- اسمي "كازينو" ، وأنا ...

فصاحت تقاطعه :
- "نيد كازينو" ! كلا ... إن "دوللي" لاتريد أن تراك لأنك مسؤول عما حدث لزوجها "برت" . إن البوليس لم يقل ذلك عندما قدم إلى هنا ولكننا علمنا الحقيقة ..
ولو أنه سمع نصيحة "دوللي" التي طالما حذرته من الاتصال بك لما وقع له ماحدث
ثم راحت تسعل سعالا بغيضاً ينبئ بفساد رئتيها ، حتى إذا كفت عن السعال عادت تقول :
- إنهم يسمونك "أمير البلطجية" ولك أعوان مردة ..
ولكنها عادت إلى سعالها الجاف العنيف من جديد ، ورنوت إلى "كازينو" فوجدته شديد الإصرار على إنجاز مهمته، ثم مالبث أن قال لها كأنما يدلل طفلا عنيداً :
- على أية حال يجب أن أرى زوجة "برت" لأن الأمر غاية في الأهمية ولا يصح أن تقفي في سبيلي هكذا .
ومرة أخرى صاحت وقد تضاعف حنقها :
- يجب أن تذهب من هنا فإنك غير مرغوب فيك في هذا المنزل. لامكان لك هنا يا "نيد كازينو" ولا موضع عندنا لأمثالك وأشباهك ! إنني أشكرك لو أوليتني ظهرك وانصرفت لحالك وإلا فسوف أستدعي البوليس وأجعلك ...
وقاطعها في هذه المرة صوت خافت مكدود خلفها يقول :
- من هذا يا أماه ؟ يجب ألا تقفي هكذا في الباب وأنت تسعلين !
وحاولت العجوز أن تغلق دوننا الباب وهي تصيح في وحشية:
- اذهب لعنة الله عليك !
ولكن قدم "نيد" امتدت تمنع الباب من أن ينصفق في وجهينا، ثم نادى قائلا :
- يا مسز "مايلاند" ! أنا "نيد كازينو" .. جئت لأتحدث إليك في أمر مهم عاجل ..
أرجو أن تصدقيني ..
وران صمت مسرحي ونحن واقفان بلا حراك أو كلام إلى أن قطع

حبل الصمت نحيب المرأة في الردهة الضيقة ونشيج بكائها الواهن المتقطع .

كان وجه "دوللي مايلاند" يحمل طابعا عجيبا من المتناقضات يتسم به عادة معظم نساء العمال ، فبينما كان مستديراً يكتنز باللحم الممتد إلى عنقها ، كانت شاحبة الأسارير واسعة العينين فاحمة الشعر خابية النظرات ترتسم على جبينها خطوط الحياة الجاهدة وتمتد حول ركني فمها خيوط متجهمة تعكس شظف العيش الذي تعانيه .

وبعد أن توسلت إلى أمها أن تتركنا جلست بادية التعب على مقعد كبير بحجرة الاستقبال حيث اعتلت إحدى المناضد زهرية ذابلة الورود لا تتجدد مياهها في كل يوم وعلى الرغم من نظافة الحجرة كانت تصل إلى أنفي رائحة مياه آسنة ، وأخذت المرأة تتفرسني فأدرت عيني إلى الموقد وإلى غليون فرنسي فوقه ، وأدركت أنه كان يجب ألا أحضر مع "كازينو" إلى هذه الشقة التي تحمل طابع الأسى ولكنني كنت أرحب بمرافقة ذلك الرجل أينما ذهب لعلني أجد حلا لهذه الطلاسم التي تحيط به والتي لا أعرف معها طبيعة العمل الذي يمارسه في الخفاء ، ويتناقض ما أسمعه عنه مع ما يقوله "كازينو" ويؤكده من أنه حرب على السوق السوداء والعابثين بها وأنه يوفر للمستهلكين كثيراً من حاجاتهم بالسعر المقبول الذي لايبهظهم ويمنيهم بالحرمان !

وبدأ "كازينو" يتحدث إليها ولكنني لم أكن واثقا بأنها كانت تصغي إليه في اهتمام ، وكان حديثه حول زوجها "برت" وكيف أنه كان وساطة لمساعدة رجال آخرين يرون فيه قائدا وزعيما ، وكان صوته مسرحيا يعلو وينخفض كأنغام القيثارة ، وكانت نبراته ترتجف بضع لحظات أشبه بأوراق الشجر فتسترعي انتباه المرأة وتجعلها تنظر إلى عيني محدثها الضارعتين وهو يقول :

- ثقي يا مسز "مايلاند" أنني ما كنت أحب أن يحدث لزوجك ما وقع له ، وسوف تعنى به كل العناية .. أما أنت فسوف ...

وإذ ذاك انفتح الباب على مصراعيه ودخل طفل في الخامسة أو السادسة قذر الوجه مشرق الأسارير ثم وقف يحملق برهة إلينا

وأخيرا قال :

- إن "جراني" لايريد أن يعطيني الكرة يا أماه .

فأجابته بصوتها المكدود في رفق :

- ليس الآن يا "جيمي" .. ليس الآن .. اذهب واعمل كما يقول لك "جراني" الطيب ..

اذهب يا "جيمي" !

وغادرنا الطفل في خطوات بطيئة وهو يجر قدميه جرا .. وبعد أن صفق خلفه باب الحجرة سمعناه يتوثب ويتصايح ، وتنهدت المرأة الشابة ثم قالت :

- هكذا ترى يامستر "كازينو" .. إن لدينا "جيمي" هذا وننتظر مولوداً آخر في القريب ويقول الدكتور ...

ثم هزت رأسها وعضت شفتيها لتمنع نفسها من الاسترسال في عرض كروبها ونكباتها فقال "كازينو" بادي اليأس والقنوط :

- لاتغتمي فإن الهموم لن تجدي "برت" ولن تعاونه .. سأذهب بنفسي إلى المستشفى لأوفر له كل أسباب الراحة وسأخبره بأن ليس ثمة مايدعو إلى قلقه من أجلك فصدقيني . فرنت إليه بدورها كاسفة البال حتى خيل إليّ فجأة أن عمرها زاد عشر سنوات وتأملت عنقها الناصع البياض الناعم كالحرير وهي تقول :

- أنا أصدقك وأعرف جيدا أنك لن تدخر جهداً لديك . وسبق أن حدثني "برت" بكل شيء ولكني خائفة .. خائفة كما تراني ولا حيلة لي ولاقوة ! هاهو "جيمي" الصغير وهأنذا وهاهو "برت" في المستشفى ومع ذلك أخشى أن تمد يد المساعدة إلينا بسبب البرقية التي تلقيتها .

فتصلبت عضلات "كازينو" وغمغم مشدوها :

- برقية ؟ ممن ؟

فأشارت بيدها إلى حافة الموقد حيث برزت حافة برقية ، فنهض "كازينو" يلتقطها وهو يقول مترددا :

- أتسمحين لي بالاطلاع عليها يا مسز "برت" ؟

فلما أومأت برأسها إيجابا ، وقد اشتد امتقاع أساريرها ، فض البرقية في انفعال وراح يتلوها ، ثم جلس مطبق الشفتين عابس

الوجه ، ومد لي يده بالبرقية فوضعتها على ركبتي وقرات فيها مايلي:

«لاتتحدثي إلى "كازينو" إذا زارك ولاتساعديه باية طريقة او تجيبي عن أسئلته بل لا تطلعي أحدا على هذه البرقية كائنا من كان ، وإلا فإن ما حدث لن يكون إلا بداية المتاعب»

ولم تكن البرقية تحمل اي توقيع او إمضاء اواسم يدل على مرسلها، ولكن كان جلياً أنها أرسلت من مكتب بشارع والهام جرين في الحادية عشرة والنصف صباحا .

وطويت البرقية ثم اعطيتها لـ"كازينو" الذي قام في هدوء وسكون فارجعها إلى مكانها فوق حافة الموقد ، وعاد ليغوص في مقعده من جديد ويقول :

- إذا لم تساعديني فسيكون في ذلك القضاء على "برت" وانت تعلمين هذا جيداً يا مسز "مايلاند" .. بل سيكون القضاء عليه وعلى الآخرين .. اما إذا ساعدتني ففي وسعي أن امنع كل متاعب من هذا النوع .

وكمشت المراة الشابة في مقعدها كانما تود أن تختفي وأن تتوارى عن العيون ...

وبعد لحظة قالت وصوتها اشبه بصدى نفسها :

- وكيف أستطيع مساعدتك يا مستر "كازينو" ؟

فاجابها في هدوء :

- تستطيعين أن تحدثيني عن "ماري فاريل" : لماذا قدمت إلى لندن؟ وماذا جاءت به ؟ إن "برت" كان يعلم واظنه اخبرك بما يعلمه.. ولا ادري لماذا لم يخبرني انا ؟ وإنني لاتساءل : هل كان خائفا مني ام من احد غيري ؟ او هل كان يخشى أن يكون له شان في محاكمة "جوزيه سافيلا"؟ وهذا "لوبين" ... "آرسين لوبين" الذي كان يقود السيارة التي قتلت فيها "ماري فاريل" خارج فندق بلا مونتانا وهو الذي تعرف على قاتلها "جوزيه سافيلا" وشهد بذلك في أثناء المحاكمة بلا مواربة او خوف او تردد..

وحملقت إلى "كازينو" لا أدري لماذا يقحمني في حديثه مع المراة ولا أرضى أن يجعلني وسيلة لحملها على الإفضاء بما تكنه في نفسها

وتخاف أن تبوح به .. ولكن ها هو ذا يتخذني اداة لحملها على قول ما يتحرق على معرفته .. ومن أجل ذلك لم يصطحب معه في هذه الزيارة "هانك برودسون" وإنما آثرني برفقته ! وتبينت من ذلك أن "نيد كازينو" داهية لايقدم على عمل من غير ترو وبدون رسم الخطط اللازمة

وعندما تكلمت وجهت حديثها إلي وفي نبرات صوتها ماينبئ بالخوف الذي يساورها ، فقالت :

- أعرفت شيئاً عن الأوراق ؟

فاجبتها على الفور :

- نعم ، وعرفت في أيدي من وقعت .

وتطلع "كازينو" إلي دون أن ينطق بحرف ... وغمغمت المراة تقول كانما توضح مايريده "كازينو" :

- كان "برت" خادما أو مراسلا للكابتن "فاريل" في اثناء الحرب.

ولكن لم يبد على "كازينو" انه كان يجهل ذلك ، وكنت أعلم بدوري أن زوجة "فاريل" قدمت إلى لندن باوراق إلى "جوزيه سافيلا" الذي قتلها ثم لم يجد هذه الأوراق في حقيبتها التي خطفها .. ويبدو ان زوجة "جوزيه" التي كانت تحب "كازينو"، وربما لاتزال تحبه ، (والتي هي أخت ماري فاريل) قد حذرتها من الثقة بـ"سافيلا" والاطمئنان إليه ..

ورحت أتساءل لماذا ؟ وماذا تحوي الأوراق من اشياء تهم "جوزيه سافيلا" كل هذه الأهمية التي دعته إلى ارتكاب جريمته للحصول عليها؟ ثم لماذا يهتم بها أيضا "نيد كازينو" ؟

واختلطت الافتراضات براسي ولم أظفر بنتيجة رغم ما جاهدت في التفكير والدراسة ولكن ومضت فكرة براسي فقلت :

- أين "فاريل" ؟

فسقط فك المراة وحملقت إلي كانما قد استحلت إنسانا آخر امام عينيها وقال "كازينو" :

- كنت اظنك تعرف يا "لوبين".. كنت اظنك علمت بانه قتل منذ بعض الوقت في حادث ... خاص !

ولم أتكلم لأنني كنت افكر إذ ذاك في رقم تليفون "جلوريا" ورجائها أن اتصل بها في مدى يومين ، وفي انني يجب الا انسى ذلك ولم يبق

سوى يوم اخر. ولذلك اكتفيت بان هززت راسي .. وتنهدت "دوللي مايلاند" عن كبد حرى ، ثم تحركت في مقعدها .. وعندئذ انحنى "كازينو" يرفعها بيده القوية ويسند ظهرها إلى ظهر المقعد فشكرته بنظرة منها وقالت :

- ظل الكابتن "فاريل" على اتصال بـ"برت" إلى ان وقع الحادث... وقد كتب الكابتن قبل ذلك يقول إنه قد يحتاج إلى "برت" ليعاونه في أمر ربما يكون على جانب كبير من الخطر ، ثم كتب يقول «ولكنني اعلم انك لن تخيب رجائي» وفعلا لم يخيب "برت" رجاءه لأنه ليس من الصنف الذي يرضى بذلك .

واغمضت عينيها لتخفي مايترقرق فيهما من دموع فقال "كازينو" :

- أنا أعرف "برت" جيداً وأعرف فضائله يا مسز "مايلاند" ورقات الزوجة الشابة دموعها التي انحدرت على وجنتيها ثم عادت تقول :

- وقبيل الحادث الذي .. قتل فيه الكابتن تلقى منه "برت" خطاباً ثانياً ذكر فيه شيئا عجيبا إذ قال «لو حدث لي شيء ، فعليك أن تساعد زوجتي بمثل ما كنت تساعدني» فارسل له "برت" يؤكد له ذلك .. ولعل هذا ما جعل "برت" يلتزم الصمت في اثناء المحاكمة في حين كان يجب أن يقول شيئا آنذاك ......

وتطلعت إلينا ثم تسمرت عيناها على "كازينو" فاوما براسه كانما يخبرها انه يدرك ما تعنيه ثم قال :

- إن "برت" كان على حق فيما اظن يا مسز "مايلاند" .. على حق تماماً.. وإذا لم اكن مخطئاً فهو قد تلقى إنذاراً بالا يتقدم ويثير المتاعب .. إنه لم يخبرك بذلك ولم يخبرني ايضا وهذاما يدهشني كثيراً .

وهنا سالته بدافع من حبي للاستطلاع :

- وهل أخبرك بشيء عن خطابات الكابتن "فاريل" ؟

فاجابني :

- لا يا "لوبين" ..

وسالته "دوللي مايلاند" بدورها :

- اكان ثمة ما يمنعه من ذلك ؟

فاجابها : لا اظن .

وعادت تساله :

- إذن كيف جاءتك هذه الأخبار عن "برت" وعن كل شيء ؟ ولماذا جئت تنشد مني اخباراً ؟

وسرعان ما انقلبت المراة في لحظة واحدة من مخلوقة خائفة كامشة إلى امراة متحدية ملتهبة العينين ونصبت قامتها كالعود فوق مقعدها وسقطت الوسادة من خلف ظهرها .. ذلك لان "برت" كان يعني كل شيء عندها بل كان تسعة أعشار حياتها او اكثر .. ولقد ادركت ذلك جيداً من التماع عينيها وأمارات التحدي التي غشيتها فجاة .

وتطلعت حولي في ارجاء حجرة الاستقبال مرة اخرى فرايت كل شيء مطبوعا بسني الجهاد لمناهضة الفقر ورثيت في نفسي لما أصاب الرجل الذي أوتي مثل هذه العزيمة ومثل هذه الزوجة المحبة الوفية المدبرة . وعاد "كازينو" يثبت انه ليس بالرجل الذي يؤخذ بالمفاجاة فاجابها :

- أنا أعرف يا مسز "مايلاند" لان مسز "فاريل" كتبت لي تخبرني بما كان يعمله زوجها وذكرت لي ضمنا اسم "برت" .

وانحنى عليها مرة أخرى يضع الوسادة خلف ظهرها المكدود ثم استطرد يقول :

- ولكني بالتأكيد لم أعرف إلا الآن فقط أن الكابتن "فاريل" طلب إلى "برت" أن يساعد زوجته إذا ..

وتطلع إلى ساعته ثم قال :

- أخشى يا مسز "مايلاند" أن اكون قد طمعت في كرمك فاطلت بقائي هنا اكثر من اللازم .

واردت أن اقرص نفسي لتصدق ماتراه عيني وتسمعه اذني لان هذا الرجل الرقيق الناعم الصوت المنحني على المراة المتعبة ممسكا بيدها لايمكن أن يكون "تيد كازينو" ، زعيم البلطجية ، الذي لا تعرف الرحمة باعدائه وخصومه سبيلا إلى قلبه ؛ وما لبث ان نهض على قدميه وقال :

- هيا يا "لوبين" !

وغادرنا المنزل تتبعنا غمغمة السخط من العجوز الشائبة وحملقة الحفيد ! وكان "كازينو" غائصا في يم من افكاره ونحن نقطع الطريق ثم قال لي :

- تعال نشرب قليلا يا "لوبين" ونتحدث على انفراد .

واتجه إلى أحد المشربين العامين اللذين مررنا بهما في طريقنا إلى منزل "مايلاند" . وهناك طلب كاسين من الشراب بعد أن اختار منضدة خالية منعزلة ثم مضى يرتشف كاسه في بطء وهو يرقبني من فوق حافة الكاس ثم وضعها امامه وقال :

- أتظنني استخدمك لأغراضي يا "لوبين" ؟

فاجبته :

- هذا واضح لا يحتاج إلى سؤال ولذلك سئمت أو بدأ السام يداخلني على الأقل .

- وما رأيك الذي كونته عني بصراحة ؟

- الواقع انني لست واثقاً بعد فلا ادري هل انت قديس من نوع جديد مثل "روبين هود" ؟ أم مجرد رجل يتسلم البضائع الرخيصة المسروقة ؟ وبذلك تكون اشبه بخوخة ناضجة في نظر البوليس ، فهم ينتظرونك إلى أن يحين موعد جمع الخوخ وجني ثماره ..!

ولعلني كنت فظاً في وصفي له خصوصا بعد ان سقاني الشراب ولكنني - على مايبدو - كنت متحرقا على أن اطلق لساني على هواه بعد الصمت الطويل الذي التزمته أو لعلني رفعت الكلفة بيني وبينه إلى الحد الذي أسفر عن احتقاري له ومع ذلك أجابني غير غاضب :

- رائع جدا .. استمر

- ولقد تساءلت لماذا التفيت اثري وبحثت عني حتى الحقتني - قوة واقتداراً بزمرتك ، ولكنني اعتقد الآن أنني اهتديت إلى السبب، وهو شدة قلقك واهتمامك بال "فاريل" وبتلك الورقة التي أحضرتها "ماري فاريل" إلى لندن لـ"جوزيه سافيلا" .. ولا أعلم سر اهتمامك بذلك وإن كانت "جلوريا" تعتقد اعتقادا جازما بان "سافيلا" لو حصل على تلك الورقة لكنت انت الآن في غياهب السجن .. وهذا ينبئ بشيء ويولد عندي فكرة ما فاوما برأسه وسألني :

- هل لك في كاس اخرى ؟

واومات براسي كذلك ثم رحت ارقبه وهو يذهب بنفسه إلى (البنك) فيملأ الكاسين مرة اخرى ثم يعود بهما وهو لايزال غائصا في افكاره. وقدم لي سيجارة ثم قال وهو يرمقني :

- أنت ماهر جدا يا "لوبين" في الهبوط بالإنسان من عل إلى سابع ارض ولكني اعتقد ان هناك شيئا فاتك ان تلحظه .. فاتك أن ترى آل "سافيلا" يوشكون ان يشهروا حرباً .. سوف اقابلها بالمثل .

قلت : أو لم تعمل شيئا للآن ؟

- ماذا تعني بالضبط ؟!

- إن "برت مايلاند" ومن كانوا معه في الليلة الماضية قد استعملوا العنف مع سائقي "سافيلا"

- إنك لم تفهم ما يجري جيدا يا"لوبين" اصغ إلي .. إن سائقي اللوريين لم يقض عليهما ولكن كانت الضرورة تدعو إلى معاملتهما هكذا .. وهذه المعاملة عادية في عالم العصابات الخفية. أما ترك "برت" يموت فشيء آخر . وإذا لم نعمل شيئا فسيكون "برت" مقدمة لآخرين وسوف يعقب الضرب إطلاق الرصاص من غارات متوالية من القتل والإجرام .

- على طريقة آل "كابوني" ؟!!

- ربما .. ربما .. وخصوصا ان التعدي على "برت" يعتبر شهرا للحرب في سبيل بقاء "سافيلا" سيد الميدان .

- أظن "برت" إنما لقي مالقيه بسبب الأوراق الضائعة التي تهمك والتي فقدها "جوزيه" رغم الجريمة التي ارتكبها .. اما ما عدا ذلك فهو مجرد تبرير منك لاستغلالك الرجل من أجل مصلحتك الخاصة .

فنهض مربد الوجه حانقا وقال :

- إن فيك كثيراً من الفضائل التي تعجبني وتحببني فيك ولكنك تكون أحيانا من السخف بحيث تضيق بك أوسع الصدور ! هيا بنا لنلحق بـ"هانك" .

* * *

وخرجنا نعبر الشارع لنجد أربعة في انتظارنا احدهم رجل من

جمايكا دميم الخلقة سرعان ما اخرج يده من جيبه وفيها موسى يلتمع نصلها . بينما رايت اثنين يمسكان زجاجات محطمة، اما الرابع فقد شهر في يده مدية طويلة .

واخذ الجمايكي يصفر بين اسنانه الناصعة وسط وجهه الأسود.. واعجبني المنديل الحريري المتعدد الألوان حول عنقه حتى لقد شغلني لحظة عن التطلع إلى الموسى التي يمسكها .. وقال له الرجل صاحب المدية في غمغمة غنائية :

- لنسرع باقتناصهما .. اهجم يا "آبي" عليهما !!

فانقطع الزنجي عن الصفير وتقدم إلينا في خفة القط . وغمغمت باسم "كازينو" ، دون أن أقوى على مزيد من التحذير ، لأنني وجدت اننا في مازق لامهرب منه !! ولمحت في نهاية الطريق امراة تحمل حقيبتين وتسير في بطء فادركت انه يسهل قتلنا قبل ان تقترب منا فلا تجد امامها إلا جثتين غارقتين في الدماء .. وسوف تولول وتصرخ بالتاكيد ولكن بعد ان يكون القتلة قد اختفوا عن الانظار .. وعندما يجتمع الناس حولنا سيهزون رؤوسهم ثم يتحدث الشرطي تليفونياً إلى اسكوتلانديارد بان "نيد كازينو" وسائق (تاكسي) يدعى "آرسين لوبين" وجدا مقتولين بعدة طعنات.

واقترب الرجال الأربعة منا وقبل أن تمتد يدي إلى مسدسي ، كان "كازينو" ينقض كالصاعقة على الزنجي فيلكمه لكمة واحدة جعلت الموسى تطير من يده وجعلته ينبطح على ظهره يشهق بالألم.. وفي اللحظة التالية ركله في صدره ثم وقف على وجهه بإحدى قدميه وراح يحطم الموسى الساقطة على الأرض بقدمه الأخرى . ورايته ينقض على حامل المدية فيفعل معه ما فعل بزميله وإذ ذاك لم أجد مبرراً لبقائي متفرجا والخطر يهددني كذلك بمثل ما يهدد "كازينو" . فاندفعت إلى الآخرين ولحسن حظي أطلقا سيقانهما للريح قبل أن يجهز "كازينو" على حامل المدية ويخف لمعونتي . وامسك "كازينو" بذراعي قائلا :

- اسرع .. يجب ان نبتعد من هنا في الحال يا"لوبين" قبل ان يفاجئنا احد من رجال الشرطة في مثل هذا الموقف الذي لا احبه

وجرينا .. وكانت المراة قد اقتربت منا وراتنا نجري نحوها

فصرخت ظنا منها اننا نعنيها بالذات . ولكننا استطعنا أن نبلغ شارع كلافام ثم نجد السيارة "وهانك برودسون" في انتظارنا . وشاهد الامريكي وجوهنا المربدة وسمع انفاسنا اللاهثة فقال :

- احدثت متاعب ؟

ولكن "كازينو" صاح :

- سق انت يا"لوبين" عبر لندن بحيث لا تلحق بنا سيارة البوليس التي استدعيت بلاشك لمطاردتنا !

وجلست في الحال خلف عجلة القيادة وكنت أعرف المهمة المطلوبة مني فرحت اقطع الطريق في شوارع متعارضة متقابلة تضلل اذكى رجال البوليس .. حتى إذا بلغت شارع كنسنجتون ، شكرني "كازينو" ثم غادرنا السيارة وتسللنا إلى مشرب شاي .. ثم غادرناه بعد قليل واشترى "هانك" آخر الصحف بعد انقضاء ساعة واحدة على الحادث فإذا بها أخبار معركة بين العصابات نشبت في شارع كلافام وشد ما كانت دهشتي حين قرات أن اثنين وجدا مثخنين بالكدمات والرضوض وقد اعماهما - مؤقتا - غاز النوشادر !! ثم مالبث "كازينو" أن قال :

- هذا يذكرني بضرورة التخلص من النوشادر . واخرج من جيبه مايشبه مسدس الأطفال ينتهي بكرتين من المطاط الأخضر فالقاه بصندوق للفضلات في الطريق بعد ان مسحه بمنديله . وعندما عادإلى السيارة قلت له :

- أرجو ألا يعثر عليه رجال البوليس

ولكنه اجابني ساخرا :

- دع هذا الإسراف في الخيال الذي يلازم قراء القصص البوليسية هياإلى شارع هاي وهناك أخذنا (تاكسي) وطلب "كازينو" من السائق أن يقلنا إلى سوق شبرد . وجلسنا ندخن في صمت دون أن نتبادل الحديث .. وبين الفينة والأخرى كان الامريكي يقرا بعض سطور الصحيفة التي يقلبها حتى إذا بلغنا منتصف الطريق قال :

- انت تعلم معنى ذلك يا"نيد" .. الحرب .. الحرب بلاهوادة . ولذلك يجب العمل بالسرعة التي تشل حركات "سافيلا"

وفي هايد بارك نقر "كازينو" على الحاجز الزجاجي ثم طلب إلى السائق أن يقف واستدار إليّ يقول :

- هنا تتركنا يا "لوبين" ولاتخرج الليلة بل ابق مع "هاري" وساراك في الصباح مشرقا مبكرا .

وهبطت من السيارة بينما كان الأمريكي مازال مستغرقا في صحيفته . ولما اختفت السيارة عن عيني في شارع بيكاديللي عبرت الطريق نحو فكتوريا . وشعرت بانني في حاجة إلى بعض الشراب فدخلت محطة فكتوريا ، ثم جلست في مقصفها أشعل سيجارة واحتسي كاسا من الشراب : وماإن جذبت نفسين من سيجارتي حتى سمعت صوتا مالوفا يخاطبني قائلا :

- من كان يتصور أن أعثر على الرجل الذي أود أن أتحدث إليه ؟!

واستدرت لأجد إلى المنضدة التالية - على امتداد ذراعي - المفتش "دافيد سون" فقلت :

- هالو . ماذا تفعل هنا ؟

وهو سؤال سخيف إذ يوجه إلى رجل يقضي وقته في مطاردة اللصوص والقتلة ؟

ولكن الكلمات انطلقت من تلقاء نفسها لحاجتي إلى النطق باي شيء وإخفاء اضطرابي لتلك المقابلة المفاجئة . وكان يدخن غليونه في هدوء ورمقني في شك ولكنه لم يبال بل رشف رشفة من فنجان قهوته ثم قال :

- انا نازل لتوي من القطار يا "لوبين" . وكنت افكر فيك كما قلت لك لأتحدث إليك قليلا :

فدفنت انفي في كاسي وانا أغمغم قائلا :

- اي خدمة أستطيع ان أؤديها يا مستر "دافيدسون" ؟

فابتسم وقال :

- شكراً يا "لوبين" .. اسمح لي أن أطري حلتك الجميلة :

ومد يده يتحسس صوفها ثم قال :

- كنت أقوم ببعض تحريات عن موت الكابتن "فاريل" .

قلت وانا اقبض جيداً على كاسي حتى لاتسقط من يدي :

- الكابتن "فاريل" .

- نعم .. زوج المرأة التي قتلت في سيارتك .. ويبدو انه قتل منذ زمن قريب في حادث قارب . والشيء الوحيد الذي يدعو للتحري مايلابس ميتته ويثير شكا في أن يكون الحادث مبيتاً . الم تسمع بذلك ؟

- كلا .. وماذا يحملك على الظن بانني أعرف شيئاً عن الحادث ؟

- ولماذا ترتعب هكذا ؟

- انا لا ارتعب ولكني فقط متعب وفي حاجة إلى النوم .

- ربما بحثت عنك مرة أخرى .

وشعرت بانه يعني انتهاء الحديث عند ذلك الحد فقلت :

- ولكن لماذا ؟

- قد أحتاج إلى معونتك .. في البحث عن بعض الأوراق .

ثم تفرس في قليلا ونهض واقفا وهو يقول :

- هذه الأوراق ضاعت في الوقت بين حادث الكابتن "فاريل" وحادث زوجته إلى اللقاء يا "لوبين" وارجو أن تحافظ جيداً على صحتك !

وخرج من المقصف فانتهيت من كاسي ثم اطفات سيجارتي متقززاً وكلي شعور بحاجتي إلى الانفراد بنفسي ، في مكان ما ، لأخلو إلى تفكيري ، فقد تملكني إحساس غريزي بان لدي كثيراً مما يستدعي التفكير الطويل ... وعدت إلى الحجرة والتي يشاركني فيها "هاري بيكس" فوجدته راقداً في فراشه يقرا رواية بوليسية . وتطلع إلى من خلف روايته قائلا :

- لي حديث مهم معك .. إن "نيد" تحدث تليفونيا منذ عشرين دقيقة وهبطت إلى الطابق السفلي وتلقيت منه رغبته في أن يراك في الحال وأن تذهب إليه في السيارة الصغيرة التي أدخلناها الحظيرة ليلة أمس .

فقلت حانقاً :

- أيظنني سائقاً طوال الليل والنهار ؟!

- لاتحنق يا "لوبين" فإن الأمر خاص بـ"بيرت" الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة وستذهبان إلى المستشفى معا .

والقى مفتاح الحظيرة إلي ثم مفتاح السيارة وهو يقول :

- أسرع بالله عليك يا "لوبين".

الفصل السادس

كان "كازينو" يذرع الرصيف عندما كنت اتبع سيارة كبيرة في طريقي إلى سوق شبرد ، فلما شاهدني أسرع إلي يقول :

- بالله اين كنت ؟

وكان بادي الغضب والهياج ويود لو يمزقني إرباً فتطلعت إليه غير عابئ بثورته حتى إذا جلس إلى جانبي قلت له :

- كنت اجيئك بانباء طازجة من المفتش "دافيدسون" فهو الآن يبحث ويتحرى حادث الكابتن "فاريل" ووعد بان يطلبني عند الحاجة ، وكان شديد القلق واللهفة على الاهتداء إلى بعض الأوراق الضائعة .

فغمغم ساخطاً .. وحاولت أن أكون لحوحاً فسألته :

- إلى أين تذهب ؟

وكان غائصاً في لجة من التفكير فاجابني في اقتضاب :

- إلى مستشفى لامبيث.

ورايت أن أتركه في غمرة تأملاته ، ورحت أتطلع إلى نهر التاميز .. وأخيراً راح يطرح علي بعض أسئلته :

- ماذا قلت للمفتش "دافيدسون" ؟ ماذا كان يعمل في المحطة؟ وماذا حملك إلى هناك ؟ وماذا قلت عن الأوراق ؟ .. إلى غير ذلك ..

فاجبته دون توسع.. وعاد يخلد إلى الصمت إلى أن بلغنا المستشفى .. ولما دخلناها وثب رجل للقاء "كازينو" الذي قال لي عندما رآه :

- هذا "تيد جيمر" .. كان مع "برت" في الليلة الماضية .

ثم قال للرجل :

- كيف حاله الآن ؟ أما زال قادراً على الكلام ؟

فاوما "جيمر" براسه ثم قال :

- إن حالته سيئة جداً يا "تيد"، ولكنه يرهق الممرضات لأنه يود رؤيتك والتحدث إليك .. إنه لم يذكر اسمك بالتاكيد وإنما ظل يسال عني فلما ذهبت إليه الح على طلب التكلم معك ليخبرك بشيء مهم قبل

أن يجروا له العملية الجراحية خشية أن يموت دون أن يفضي إليك بدخيلته .

واختنق الرجل بالبكاء ثم غمغم حانقا :

– لقد قضى عليه الأوغاد !!

– وساله "كازينو" :

– أتعرف فيم يريدني يا "نيد" ؟

– نعم .. تقريبا . فقد أخبرني انه يعرف اثنين ممن صرعاه وحاولا قتله .. اثنان من عصابة "فنزبوري" ..

كان أحدهما الزنجي الجمايكي المعروف باسم "آبي" والمسمى "ابسي كارفر" ، واظنك تذكر أنه كان في المحكمة عدة مرات . ثم كان هناك "فات لوي" .

– اقرأت آخر الصحف يا "نيد" ؟

– لا لانني زاهد في الصحف منذ ليلة أمس .. ولكن لماذا ؟

– إن "ابسي كارفر" و"فات لوي" قد تحطما بعد ظهر اليوم .. كان يجب أن يبتعدا عن بريكستون

ثم استدار إليّ قائلا : تعال يا "لوبين" .

وتركنا "جيمر" يحك صلعته ويحملق إلينا حائرا . وأرشدتنا ممرضة إلى العنبر الذي يرقد فيه "برت" .

وكان المسكين غارقا في ضماداته وتفوح منه رائحة المطهرات ، وبعد أن أحاطتنا الممرضة بالأستار قالت :

– أرجو ألا تزعجاه أو تثيراه .

فلما ابتعد وقع قدميها قال "كازينو" يسال المريض :

– كيف حالك يا "برت" ؟

فتحركت الضمادات التي تغطي "برت مايلاند" وارتفع من بينها صوت واهن :

– شكراً .. إنني اسمعك يا "نيد" .

– اصغ إلي يا "برت" . لاتشغل بالك بالوغدين "ابي كارفر" و"فات لوي" فإنهما يأسفان الآن تماما على نفسيهما .. اصغ إلي .

ثم انحنى عليه وحدثه بمغامرة بعد الظهر وبزيارته لزوجته وما

تلاها من العراك الدموي .. وسمعت من "برت" غمغمة الرضا بين أونة إلى أخرى ثم سمعته يقول :

– احترس يا "نيد" فإن "سافيلا" كما قالوا ينتوي لك الشر ، وبدونك لا نستطيع مناهضته ومحاربة سوقه السوداء .. احترس لنفسك يا "نيد" ما استطعت ..

فربت عليه "كازينو" في حنو وهو بادي الجزع عليه ثم قال :

– لاتخف يا "برت" فنحن في وسعنا أن نهتم بكل شيء وبزوجتك .

وعادت غمغمة الرضا والشكر تتصعد من بين الضمادات وأخيراً قال "كازينو" في هدوء :

– اتسمعني جيداً يا "برت" ؟

– نعم يا "نيد" .. تكلم .. إنني عاجز عن شكرك من أجل عنايتك بـ"دوللي" فإنني لا أحب أن تعاني أو يقع لها مكروه .

وزاد انحناء "كازينو" عليه حتى كاد وجهه أن يمس الضمادات . ثم ساله :

– أتذكر يا "برت" الخطاب الذي تلقيته من الكابتن "فاريل" يطلب فيه إليك أن تعنى بزوجته إذا حدث له شيء ؟

– أوه .. نعم .. لماذا يا "نيد" ؟

– الم يقل لك ما هي المساعدة التي يرجوها منك لنفسه أو لزوجته؟

– أنت تعرف أنني كنت الخادم المراسلة للكابتن "فاريل" ، وانه كان في قلم المخابرات السرية ، وبذلك تسنى لي أن أعرف أشياء كثيرة مثل البحث عن كليشيهات ضائعة . أعتقد أنه اهتدى إلى معرفة الكثير عنها ، وانها كانت لتزييف الأوراق المالية الإنجليزية والأمريكية ..

وإذ ذاك أزيحت الستارة جانبا وأطل راس الممرضة بعينيها الحادتين ثم قالت :

– أن أن تذهبا الآن لأن الطبيب يمنع أي إجهاد للمريض ، ولولا أن العملية في الصباح لما أذن لكما في التحدث إليه .

وكانت لهجتها صارمة جافة تحمل معنى الإصرار على التخلص منا على الفور . فتطلعت إلى "كازينو" فوجدته غارقا في أفكاره متجهم الأسارير كأنما أزعجه ما سمعه من المريض .

ومالبثنا أن انصرفنا مستأذنين من "برت". ولما غادرنا العنبر واتجهنا إلى الدرج الرخامي وجدت على بسطته الأولى شبحا يرتدي معطفاً ثقيلا وقبعة كبيرة وقد اعتمد على حافة (الدرابزين). فامسكت بكم "كازينو" انبهه فافاق من تاملاته وتطلع عابسا إلى المفتش "دافيدسون" الذي ابتدره قائلا :

- لاتكشر عن أنيابك هكذا يا "تيد" ! ماذا يدهشك في أن أجد لذة خاصة في مشاهدة عائدي "برت" وزائريه

فندت عن صدر "كازينو" تنهيده عميقة ثم قال :

- كان يجب أن أتوقع أن أراك أو أحد رجالك هنا

فابتسم المفتش وقال متظاهرا بالدهشة :

- يبدو أنك كنت متلهفا على رؤيته مع أنه كان يلح على مشاهدة "تيد جيمر" وليس "تيد كازينو" ! ولكن ربما كان حصيفا في إلحاحه لأنه يعرف أن "تيد جيمر" هو الذي يستطيع دعوتك .

ولم تغادر "كازينو" مقدرته على مواجهة العواصف في هدوء وبرود فقال :

- أظنك على أية حال تعلم أنني و"برت مايلاند" صديقان !

- هذا ما خمنته لأنني كنت أجهله وما أظنك أنت كنت تفكر كثيراً من قبل في هذه الصداقة ! والذي أرجوه أن يكون قد أفضى إليك كصديق باسم من فعل به ذلك ولم يفت "كازينو" ما يزخر به حديث المفتش من سخرية لاذعة ودهاء والتواء ...

ولكنه قال :

- إن ذاكرته لاتعي شيئا على الإطلاق . وقد توسلت إليه أن يخبرني. وحاول أن يتذكر وراح يعتصر رأسه بكل قوة فإذا بالممرضة تأتي وتطلب إلينا غاضبة أن نتركه في الحال .

فهز مفتش البوليس رأسه وقال :

- إذن فلا فائدة ؟!

- كان بودي لو أستطيع أن أقدم لك أية مساعدة ممكنة .

- وهل هذه أمنية مسيو "أرسين لوبين" يا ترى ؟

ورأيته يحدقني بعينيه الثاقبتين في مكر وسخرية فقلت :

- بلا شك يا مستر "دافيدسون" فأنت تعرف أنني قدمت مساعدات كثيرة لحفظة الأمن ورعاة العدالة وأنني منذ قليل جداً قدمت لكم "جوزيه سافيلا" طواعية بمحض إرادتي .

- لقد قابلته وطلب إليك أن تقابل زوج "ماري فاريل" .

- من هو ؟

- "جيمر" وهنا علمتا أن الكابتن "فاريل" كان (مراسلته) في الحرب ثم تحرك بعيداً عنا وهو يقول :

- خير لك يا "تيد" أن تنصح "جيمر" حتى لا يصيبه في صبيحة الغد ، ما أصاب "مايلاند" ، كما أرجو أن تعلم أن لدى رجال البوليس من المهام ما هو أهم من مطاردة صبية يتعاركون في الشوارع ويتقاذفون بالنوشادر ثم يختفون !

ومضى صاعداً إلى المستشفى حتى إذا هبطنا إلى الطابق الأرضي غمغم "كازينو" قائلا :

- إنهم يرصدون حركاتنا تماما ويعلمون كل ما يحدث أولا فأولا .

وفي المدخل بنهاية الردهة انضم إلينا "جيمر" وركبنا ثلاثتنا إلى ستركويل . وهناك عندما توقفت العربة وهبط "جيمر" ، قال له "كازينو" :

- سيتصل بكم "ستيف هنري" ليحمل إليكم أوامري ، طابت ليلتك .

ومشى "جيمر" منحني الظهر داساً يديه في جيبيه . وعندما بلغنا كننجستون بدأت الأمطار تنهمر ولكنني مضيت أسابق الريح في انفعال باد فسألني :

- لماذا ترتجف ؟ هل أخافك مفتش البوليس ؟

أجبته مزمجراً :

- لست أرتجف ... ولكنني ثائر حانق بسببك .

- لماذا ؟

- إنني أتساءل عن السر في أن عثور "سافيلا" على الأوراق الضائعة كان معناه زجك في السجن !

- أظنك أكدت لي من قبل أن "ماري فاريل" جاءت إلى لندن بتلك الأوراق لتقابل "جوزيه" فهلا فكرت في أن تكون هذه الأنباء زائفة؟ -

- ماذا تعني ؟

- أعني ألم يخطر ببالك أنها ربما جاءت لتقابل شخصا آخر يكرهه "جوزيه" مثلا ؟

- كلا ... لماذا ؟

ولكنه بدل أن يجيبني لمس ذراعي برفق وسألني :

- هل أكلت منذ الغداء يا "لوبين" ؟

وتذكرت معدتي الخالية ، فقلت : لا .

- إذن نأكل لأن عصافير بطني تتصايح محتجة على طول نسيانها.

وتناولنا الطعام في مطعم صغير بالقرب من شارع فوكسهول..
وكان طعاما يتناسب بالتأكيد مع حجم المطعم ولكنه ملأ بطني وحسب . ثم جلسنا نحتسي القهوة وندخن وإذا بـ"كازينو" يخرج يديه من جيبيه ويقول :

- أعرني جنيهاً يا "لوبين" فقد جئت بلا نقود ولم أصدقه ، ولكني أخرجت حافظة نقودي وأخرجت جنيهين .. وبدلا من أن يأخذهما خطف الحافظة وهو يقول :

- لاتغضب فإن فكرة خطرت لي !

قلت :

- خذ ما تشاء فلا تهمني النقود .

فتطلع إلي لا يدري هل يصدقني أم يبحث عن السخرية الكامنة في حديثي ؟ ولم يأخذ الجنيهين بل التقط الورقة التي تحمل رقم تليفون "جلوريا" ثم أعاد لي حافظة نقودي واحتفظ بالورقة وهو يقول في رفق:

- فقط أردت ألا أتيح لك فرصة الرفض يا صديقي ... انتظرني هنا .

وغادرني ومضى خارجا من المطعم ، فطلبت قدحا آخر من القهوة وأشعلت سيجارة جديدة وأنا حائر كل الحيرة ! وبعد ربع ساعة عاد متجهم الأسارير وجلس ليحملق إلي كأنما يود أن يقرأ في عيني الجواب عما يكر به ويحيره ، ثم قال وهو يخرج قصاصة الورق :

- اسمع يا "لوبين" ! لقد طلبت هذا الرقم الذي بهذه الورقة فأجابتني امرأة غريبة الصوت ليست "جلوريا" .

قلت :

- لعلها تقيم مع امرأة أخرى ؟

- هذا ما ظننته فطلبت إليها أن تدعو "جلوريا ترنت" ... فقاطعته قائلا على الفور :

- ترنت ؟ إن هذا ليس اسمها

- كان اسمها "جلوريا ترنت" وقد تزوجت "جوزيه سافيلا" ، أما أختها "ماري ترنت" فقد تزوجت "فيليب فاريل" . والعجيب أن المرأة التي حدثتني قالت : «أنا "جلوريا". ماذا تريد ؟» وأيقنت أنها - كائنا من كانت - تكذب علي . ولكنني أردت أن أستوثق أكثر من ذلك فقلت لها : «إن "بارني ويلز" يريد أن أحمل لك شيئاً مهما فأجابتني : «يسرني ذلك متى تجيء؟» فقلت لها : " في مدى ساعة أو أكثر قليلا" وتوقف "كازينو" لحظة أشعل فيها سيجارة لنفسه ، ثم ظل يحملق إلى لهب عود الثقاب إلى أن طفئ ، فرماه في طبق الفنجان وعاد يقول :

- وإذ ذاك اتصلت بالدليل وزعمت أن لي صديقا بهذا الرقم ولكنني لم أستطع أن أتلقى جوابا عن مكالمتي التليفونية ، ولذلك أرجو أن أعرف عنوانه لأرسل له خطابا بالبريد . ولم يطالبني الدليل باسم هذا الصديق بل بادر يبلغني العنوان فكتبته على الورقة تحت رقم التليفون .

وتناولت منه القصاصة فوجدت أن "جلوريا" كانت قد كتبت عليها بخطها الأنيق «سبدويل "٩٠٢٥١"» فإذا تحت ذلك وبخط "كازينو" ٢٥ شارع ريباك» ودسست الورقة في جيبي فقال "نيد" :

- خذها فإنني حفظت الرقم التليفوني والعنوان ، وما رأيك الآن في أنها لم تكن "جلوريا" ولم تتصنع صوتها ؟

- وأنت ؟ ألا يجوز أنك تصنعت صوتك ؟

- هو ذلك فقد تكلمت من فوق منديلي ولكن المهم أن "بارني ويلز" كان يوما ما صديقي وصديق "جلوريا ترنت" ثم مات ، وتعلم "جلوريا" أنه ميت فكيف جازت عليها حيلتي إذا كانت هي المتكلمة ؟

- ألم تخمن من تكون إذن المرأة التي حادثتك ؟

- لاأعلم ولا أجد في رأسي غير "ليلان" .. زوجة "مانويل سافيلا"

وتذكرت منظر عاشق هذه المرأة عندما أهوى على الحارس "رولنجز" بالمفتاح ذي الصامولة ، ثم قلت :

- وماذا يحملك على هذا الظن ؟

- كراهيتها البالغة لـ"جلوريا" .. انت تعلم ذلك لأنها كانت تحب "جوزيه" ولكن "جلوريا" انتزعته منها فكانت أن تزوجت ليل من "مانويل" اخيه ثم اقامت الدنيا حولها .

وصمت لحظة ثم قال :

- أظنك مازلت تعجب كيف أمكنني أن ادهم بنسيون لارش في الليلة الماضية ؟

ولما أومأت برأسي استطرد يقول :

- كان "هانك" يراقب ليل عندما خرجت مع "لاري فينكس" ، وهذا الجلف صديق حميم لزوجها ولكنه مغرم بها إلى حد الوله ؛ وهي في الواقع لاتبادله الحب ولكنها في الغالب تتظاهر بذلك لتستغله وتجعله يتبعها كظلها أو بالاحرى ككلبها ، وفي الليلة الماضية جعل "هاري" عربة "لاري" هذا ترتطم بأحد الجدران وتعجز عن مواصلة السير فاضطرت "ليل" إلى الانتقال إلى تاكسي بعد أن تركت بصمات أصابعها على دفتر حسابات صغير لشركة السيارات كنا قد نسينا أن نعيده إلى مكانه عندما رحلنا بمسدس "لاري فينكس" والمفتاح الصامولة وقد نزل "لاري فينكس" في مكان بالقرب من ساونجيت ليمضي إلى منزله وهو يعرج بالألم .

ثم اطفأ سيجارته واسترسل يقول :

- لهذا لم أفكر في غير"ليل" لانها قد تدخلت في امر أثار مخاوفها فارادت أن تصلح مارتقت وأن تقوم ما افسدت ، فمضت تحاول مع "لاري" أن يلصقا تهمة بـ"جلوريا" .

ولعلهما انتظرا طويلا إلى أن تمت لهما مفاجاتها معك في بنسيون لارش ولعل "لاري" قضى الأيام القليلة الماضية يتبعك أو يتبع "جلوريا" ، ولعله راكما تلتقيان فابلغ "ليل" أن فرصتها للانتقام قد اتيحت .

ثم صمت لحظة ليشعل سيجارة أخرى كعادته في الإسراف في

التدخين طيلة قلقه وانفعاله وأخيراً قال :

- وهذا يتطلب سؤالا وهو اين "جلوريا" الآن ؟ انا لا اعلم فقد تكون "ليل" قد اقحمت "مانويل" في الامر لتفيد من تدخله ، هذا ما يجب أن اعرفه واظن الفرصة قد حانت لان تساعدني يا "لوبين" بما عرف عنك من ذكاء ودهاء وبدل أن تظل متفرجا هكذا بخلاف طبيعتك .

ولأول مرة شعرت بانني يجب أن أعمل عملا إيجابياً فقلت :

- الم تخبرها من أنت ؟

- كلا ولم اذكر لها اسماً قط . اتعني انك ستذهب إلى هذا العنوان وتفاجئها هناك ؟

- نعم وهل تعتقد انني سأجد "لاري فينكس" معها هناك ؟

- لا أستبعد ذلك لأنه يلازمها كظلها .. وفور أن تمضي من هنا سأتصل تليفونياً بـ"فريد" ليلحق بك . خذ السيارة الصغيرة وحاول أن تعرف اين ذهبت "جلوريا" .

- يالها من مهمة سهلة جداً !!

- انا واثق انها سهلة بالنسبة لك ولعلها تنتظرك الآن لتعرف اي أمكنة أخرى خزن فيها "جوزيه" أسلابه . إن "ليلان" شرهة وعاشقها "لاري" طموح .

ولم افكر آنذاك في غير"جلوريا"وسلامتها فنهضت على قدمي وانا اقول :

- من يدريني انك تحدثت إلى هذا العنوان فعلا ؟

فقال باسما راثيا :

- ما اسهل أن تسأل الدليل وتعاود محاولتي لتطمئن إلي .. ثم لاتنس انها تقيم في الشقة رقم ١٧ ..

- وعند الباب أمسك بذراعي وقال :

- لاتطرق الباب قبل خمسين دقيقة لتمنحني فرصة العمل . مع السلامة يا "لوبين" .

ورأيته يعبرالطريق وينادي سيارة ... وأسرعت أستقل السيارة (الصالون) الصغيرة إلى شارع ريباك ، وانا انهب الطريق كأنما يلج بي الشوق إلى فتاتي الفاتنة !

ثم عدت فادركت أن لا داعي لهذه العجلة لأن "كازينو" نصحني الا اطرق باب المنزل قبل انقضاء خمسين دقيقة ، فتمهلت في الطريق وانا افكر في موقفي من جميع زواياه واهيب بنفسي ان التزم الحيطة والتوقي لانني لم اكن قد تبينت حقيقة العمل الذي يمارسه "كازينو" ، وإن بدات أعجب بالرجل وبسرعة بديهته وقوة عزيمته .. ومع ذلك اعتزمت أن احترس لأن الكذب كان سهلا لديه سهولة الابتسام إذا رأى ظروفه تبرر الكذب والرياء !! ورحت اتساءل اي فخ منصوب لي في ذلك المنزل خصوصا وإن "جلوريا" طلبت إليّ أن اتصل بها بعد يومين مما قد يكون تفسيره أنها ستتغيب عن منزلها هذين اليومين ، وإذن فالمراة التي سألقاها في منزلها ليست هي كما أخبرني "كازينو" ..

وومضت بخاطري عبارة "جلوريا" عندما قالت لي إنني سوف اجعل منها ارملة وإنني كلفتها حياة أختها ، فرحت اتساءل :

- الا يجوز انها تعتقد ان لي ضلعاً في التامر على اختها وزوجها؟

ولكني عدت فرجحت أنها لا تعتقد ذلك وانها صادقة في عاطفتها نحوي، ثم عدت اسأل نفسي :

- ولماذا اشترط "كازينو" الا اقترب من المنزل قبل خمسين دقيقة ؟ وإذا كان يزمع إرسال بعض رجاله ، فلماذا لم يؤثر الذهاب بنفسه؟ ولماذا لا تكون هذه إحدى اكذوباته ، وإنني سأواجه الموقف اخيراً وحدي؟

وبلغت شارع ريباك وعند رقم ٢٥ وجدت بناء عصريا كبيرا تطل واجهته على حديقة واسعة ولكنني اتجهت إلى نهاية المكان المخصص لوقوف السيارات ، وهناك استدرت وعدت بالسيارة لاقف في مكان يسهل أن ابادر إليه عندما تستدعي الظروف أن اعجل بالرحيل . ووجدت عند المدخل سيارة امريكية يبدو عليها الإعياء لفرط ما استعملت فاجتزتها ومضيت ادخل المنزل وارقى الدرج إلى الشقة رقم ١٧ ، وكانت سابع شقة في الطابق الاول قرب نهاية ممر طويل وسرعان ما ضغطت جرس الباب ثم وجدتني اعمل شيئا عجيبا دهشت له ، وهو انني أخرجت شارة القيادة الخضراء وعلقتها في زرار

بمعطفي ، ثم جذبت قبعتي فوق عيني ، ولعلني فعلت ذلك عندما لم يفتح الباب على التو كما كنت ارتقب ؟

واخيراً .. فتح الباب ولم اجد أمامي "جلوريا" ولا "ليل" السمراء وإنما رايت عملاقا عريض الكتفين تمتد ذراعاه إلى جنبيه كذراعي الشمبانزي ، وتضيق عيناه تحت أهداب ثقيلة مخيفة ، وكدت اتوهمه فاتحة للشرك الذي نصبه لي "كازينو" فمضيت احملق إليه كما يحملق الفار إلى فيل حتى ضاق بنظراتي ذرعا فزمجر في وجهي :

- ماذا تريد ؟

وخيل إلي أن ذراعيه ستمتدان وتطوقان عنقي فتراجعت خطوة وقلت :

- إن معي صندوقا في السيارة باسم "جلوريا" ويأبى صاحبه أن يعطيني أجري إلا إذا حملته إلى هذه الشقة رقم ١٧ ، ولكن الصندوق ثقيل علي فارسل من يجيء به .

اسرع فليس لدي وقت اضيعه ولايهمني سوى (الأجرة) وليذهب الصندوق إلى جهنم !

فامسك بكتفي ودفعني إلى الخلف وخيل لي أن كتفي سينخلع ثم قال :

- اواثق انه ذكر اسم "جلوريا" والشقة رقم ١٧ ؟

- بالتاكيد .. أعطني اجري فحسب فلا أريد ان ابقى هنا طوال الليل .

فعاد يزمجر :

- حسنا .. حسنا . تعال ارني اين الصندوق .

وتركته يسبقني إلى الدرج وقد ترك الباب مفتوحا وتبعته على بعد خطوتين حتى إذا هبط درجتين واصبح تحت كتفي اسرعت أركله بكل قوتي فانكفأ على وجهه وتدحرج على الدرج . وسرعان ما عدت إلى الشقة واغلقت خلفي بابها بالمزلاج . ومضيت إلى حجرة الاستقبال المضاءة لأجدها صغيرة لا يبدو عليها انها حجرة في شقة سيدة ، إذ كانت جدرانها حاشدة بصور رياضية ومناظر طبيعية بينما كان اثاثها اخضر لامعاً حاشداً بالمرايا والزجاج . وشممت من المطبخ

رائحة تدل على عدم التوفرعلى العناية به ثم وجدت الحمام خاويا فاغلقت بابه وبلفت إلى حجرة صغيرة للنوم توحي بانها لم تستعمل منذ أسابيع ، فعالجت باباً اخر اعتقدت انه يفضي إلى حجرة النوم الرئيسية ، ولكن الباب كان مغلقا من الداخل وعدت إلى حجرة الاستقبال فجلست على مقعد بها ثم اشعلت سيجارة اخذت انفث دخانها على الباب الأمامي .

وفوجئت بمفتاح يدور في مخدع النوم ثم رايت بابه ينفتح وتخرج منه "ليل" بادية الجمال أروع مما كانت في الليلة الماضية. ولما شاهدتني ضاقت عيناها وهتفت : انت ؟!

قلت : هل فاجاتك رؤيتي ؟

وارتفعت الطرقات على الباب إذ ذاك فقالت :

- يا للشيطان سوف يحطمك "ميكي" أيها البطل المسكين !

ومشت إلى الباب فصحت بها :

- إذا فتحت له وتركته يدخل فسوف تندمين اشد الندم لان "ميكي" ثائر بعد أن عاونته على إيذاء نفسه ولن يصغي إلى نداء العقل ولن يستمع إلى نصيحتك بوجوب التروي واثرت فيها كلماتي الهادئة المليئة بالثقة والاعتداد بالنفس فاستدارت تواجهني مرة اخرى وتسالني :

- ماذا تعني ؟

قلت :

- أعني انك في حاجة إلى ما ساقوله لك .. ما جئت لأقضي به إليك .. أما إذا تدخل هذا الوحش الذي تسمينه "ميكي" وتركته يلتهمني أو يعصرني بين أصابعه فقد ضاعت عليك فرصة سماع مالدي ، وسوف تأسفين يا"ليل" .

فترددت قليلاً ، ورأيت فرصتي في الميزان فلم أشا أن أبالغ فاقلب خطتي المواتية راساً على عقب ولذلك أخلدت إلى الصمت ، فمضت إلى الباب وصاحت :

- اذهب انت يا "ميكي" فإن لدي ما أحب أن اقوله له . فقال وصوته يقطر بالالم والكراهية :

- ولكنه يا "ليل" ركلني وكادت رقبتي تدق على الدرج ! إنه ليس سائق سيارة فإنني لم أجد (تاكسي) عند الباب .

فعادت تصيح به راعدة :

- قلت لك اذهب وانتظر في السيارة .

وادركت انه سينتظر في السيارة الامريكية التي رايتها عند الباب ، ولكنه عاد يضرع قائلا :

- أصغي إلي يا "ليل" .. لا سلامة لك معه واخشى أن يثور "مانويل" علي إذا حدث .. فقاطعته نافدة الصبر :

- ساعنى بنفسي .. اذهب ولا تخش شيئا .

ومضى "ميكي" فعادت إلي .. ورحت أتطلع حولي في الحجرة بدافع من حب الاستطلاع فرأيت تليفوناً أخضر بلون الستائر المسدولة على النوافذ ، ونهضت اعبر الحجرة وانحنيت على التليفون اقرا رقمه فإذا به نفس الرقم الذي اعطتنيه "جلوريا" وكتبته على الورقة التي مازلت احتفظ بها في جيبي ; وايقنت أن "كازينو"لم يخادعني قط .

ويبدو ان "ليل" اساءت فهم مقصدي ، إذ صاحت بي :

- ابتعد عن التليفون يا "ارسين لوبين" .. ابتعد ايها السائق المزيف .

وعزعلي أن تنتهرني هذه الحسناء وانا الذي كان اسمي منذ سنوات يرجف قلوب أخطر المجرمين .. ولكني ما إن استدرت حتى وجدتها مشهرة مسدسها متجهمة الأسارير فانفجرت ضاحكا وغاظها ذلك مني فقالت :

- ماذا يضحكك أيها البعوضة ؟

قلت :

- الا يكون مسدسك اخضر كذلك ايتها الفراشة السمراء .

ثم انتزعت شارة القيادة من صدري وجلست في أحد المقاعد ببطء.. ولم تشا أن تفلت الفرصة فجلست امامي ومسدسها مازال مسدداً نحوي ، ثم قالت :

- والآن دعنا من الهذر وقل لي ما جئت تقضي به إلى .

فابتسمت واجبتها :

- هذا صحيح .. انا هنا لصفقة تجارية .

قالت متهكمة :

- لاصفقة على الإطلاق لانك لا تملك ما تتجر فيه !

وخلت الزمن الذي انقضى على وجودي في الشقة ساعات طوالا دون أن يظهر أثراً لـ "كازينو" فقلت :

- اظنني أملك الكفاية لعقد الصفقة يا "ليل" ؟

فغامت على وجهها سحابة من التجهم اضاعت الكثير من جمال عينيها ولكنني اخذت بامتلاء قوامها المشوق واعجبني أن اديم النظرإلى تلك الحيوانة الحسناء وإن كنت اعلم انني لن اجيد ترويضها وانها تكرهني كل الكراهية مما لمسته يطل من عينيها واخيراً قالت في كبرياء :

- حسنا .. لنسمع مالديك .

فتركت رماد سيجارتي يتساقط على البساط الأخضر كانما لاتعنيني توافه الامور ثم قلت في بطء :

- اسمعي يا "ليل" .. أين "جلوريا" ؟

فتصلب وجهها حتى بدا كالتمثال ثم راحت تتفرسني صامتة كانما تدعوني للمضي في حديثي فقلت :

- انا لم اتصل بك تليفونيا منذ ساعة ؟

- انا عارفة .. من الذي تحدث ؟

- رجل كان يريد أن يقول شيئا لـ "جلوريا"

- دعك من الهذر يا "لوبين"

وتاملت فوهة المسدس المسددة إليّ كانها عين صقر يهم بالانقضاض على فريسته وبدات ارثي لنفسي لانها يمكن ان تقتلني بسهولة وتعهد إلى "ميكي" التخلص من جثتي ..

واخيرا قلت وانا اغص بريقي :

- اليست هذه شقة "جلوريا" ؟

فاجابتني وفي عينيها نظرات تتساءل عما ارمي إليه :

- إذا كنت تعني أن هذه شقة زوجها فنعم .

وشعرت بانفاسي تبارح جسمي لان هذه إذن شقة "جوزيه سافيلا"

ولن تعود "جلوريا" قبل يوم آخر !!

وقبل أن يتسنى لي تقدير موقفي الحرج وتبين الأخطار التي تتهددني قالت :

- انت تكذب علي يارجل فلست تملك بضاعة على الإطلاق ولكنك تخادعني ويحسن ان ادعو "ميكي" ليتصرف معك قبل ان تهدأ ثائرته فشعرت أن كل عضلة في جسمي ترتجف وخاصة في الأمكنة التي عالجها "لاري" في بنسبون لارش معالجة لاتسر حتى ذكراها ! ولم أجد الوقت مناسباً لدخول "ميكي" فقلت فور أن وقفت على قدميها :

- حسنا . اسالي انت وعلي أن أجيب .

فقالت : سوف أجربك . اين الاوراق التي ارادت "جلوريا" أن تبحث لها انت عنها ؟

وهكذا عدنا إلى هذه الأوراق اللعينة البغيضة ! وكنت في الحقيقة لا أعلم شيئا عمليا عنها ومع ذلك يخيل إلى أن نصف لندن يطارد كل واحد من سكانه الآخر في البحث عنها ولم استطع ان اغوص في تاملاتي هذه طويلا فقلت :

- انا لم اعثر على هذه الاوراق .

فصاحت بي : لا تكذب !

وهمت بان تقف مرة اخرى فابتدرتها قائلا :

- اصغي إلي ! لقد سئمت ذكر هذه الأوراق واقسم لك ان عيني لم تجر عليها رغم ما يعتقده كل إنسان من انني أعلم كل شيء عنها !

- كذا ! ألا تعرف عنها شيئا ؟ ولكن "ماري فاريل" كانت تستقل سيارتك ولما خطف "جوزيه" حقيبتها لم يجد بها الأوراق فاين ذهبت ؟

- من اين لك انها كانت تحتفظ إذ ذاك بالأوراق معها ؟!

فحدجت بنظراتها وجهي مليا ، ثم قالت تنصحني :

- اجدر بك واجدى لك أن تكف عن الهذر لانني لا أحبه ولا استسيغه حتى ولو كان لطيفا وفي موضعه .

ثم مالت إلى الأمام كانما ومض براسها خاطر وسالتني :

- ومن تعني بقولك (كل إنسان) يعتقد انك تعرف كل شيء عن هذه الاوراق ؟

قلت :

- أعني "جلوريا" و"كازينو" و"برت مايلاند" ...

فالتقطت أنفاسها وقد تبدى عليها الرعب ، ثم وقفت على قدميها تتطلع إلي وتقول :

- أتعرف "مايلاند" ؟ إذن فانت تعلم عن الكليشيهات ونقلها ، وأظنك ستخبرني أين هي فابتلعت الغصة التي كادت تختفي ، ثم قلت في خبث لأغطي جهلي :

- ربما ..

- ربما اتفقنا إذن وعقدنا الصفقة التجارية .

ولمست جديدا في صوتها وسمعت نغمة جديدة دقت جرسا في رأسي لأنتبه إلى أن هذا هو المفتاح وأن الأوراق و"برت مايلاند" يعنيان عند هذه المرأة أكثر مما تعنيه كراهيتها لي من أجل ما فعلته في "جوزيه سافيلا". ولم يفتني أن أتساءل ، ألا يجوز أنها تمثل دورا، ولكنني استبعدت ذلك تماماًوقلت :

- لابأس من الاتفاق على الصفقة .. فقط نبدأ بـ"جلوريا" .

وكان قولي هذا كافيا لأن يحيلها مرة أخرى حيوانا ضاريا إذ صاحت :

- لعنة الله على "جلوريا" ! انتظر دقيقة .. فربما كان لها دخل في ذلك !!

ولكني لم أدع لحظة واحدة تمر بل قلت قبل أن تتحرك في مقعدها :

- نعم لها دخل إذ بدونها لا يمكن حمل "مايلاند" على الكلام .. إنهم سيجرون له العملية الجراحية غدا وربما مات من جرائها . ألا ترين أنه كان من الغباء والحماقة إيذاء الرجل إلى هذا الحد الذي يهدد حياته !؟

- هذا ما قلته لـ"مانويل" ..

- وهذه الغلطة تشبه غلطتك في أن تهدديني بأن يأكلني هذا الغول المدعو "ميكي" !

فلم تضحك ولم تبتسم بل قالت على الفور وكأنها امرأة أعمال:

- حسنا يا"لوبين".. لنبدأ بـ"جلوريا". إنها الآن في نادي (سيلفر)

آمنة ولا يهددها خطر . وكذلك لا حاجة بـ"مانويل" إلى أن يعلم بما سوف أتفق عليه معك . أفهمت ؟

والحقيقة أنني لم أفهم إذ كنت رجلا يتخبط في دياجير غرفة مظلمة وقد أوثقت يداه وربطت عيناه فلا يقوى على رؤية أو حراك.. وكل الذي فهمته أنها تريد أن تستغلني بدورها لو استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وأنا الذي كنت أضحك عاليا ممن يحاولون استغلال "أرسين لوبين" الذي دوخ الدنيا ثم قنع في هذه المرة بأن يكون متفرجا وأن يكتفي بأن يشبع حب الاستطلاع في نفسه الطفيلية .

وكنت أعلم أن نادي (سيلفر) من أسوأ المنتديات الليلية سمعة وصيتاً وأنه في سوهو ، ولكني لم أكن أعرف من يتولى إدارته إلى أن حدثتني بذلك "ليل" عندما أومأت إلي أنه منجم الذهب بالنسبة لـ"سافيلا" .. "مانويلا سافيلا" الذي يحتفظ بـ"جلوريا" سجينة لديه..

وقلت في بطء :

- أنت ذكية يا "ليل" وتنتظرك ثروة كبيرة ، ولكن الأمور تحتاج إلى مهارة في تصريفها .

والله وحده كان يعلم ما أعنيه ، لأنني إنما نطقت بكلمات فحسب بغرض التغرير بالمرأة وحملها على الكلام الذي يكشف لي عن الكثير مما أجهله وتظنني أعلمه ..

وأومأت برأسها موافقة ثم قالت :

- سنتولى تصريف الأمور بكل حكمة يا "لوبين" ، وبكل حذر .

وابتسمت لي لأول مرة ابتسامة عريضة .. والواقع أنني استطعت أن أعلم من لهفتها على الاتفاق الخفي بيننا أنها تتحرق على الثروة التي سوف تجلبها تلك الأوراق وتنسيها كل شيء حتى "جوزيه سافيلا". ووضعت ساقا على ساق ثم قلت في صوت خافت :

- هناك شيء واحد يجب أن تفهميه يا"ليل" .. وهو أن "جوزيه" يجب أن يذهب لأنه لاسبيل إلى الثروة مع وجوده .

وأعماها الطمع فأخذت بفكرتي على التو ، وأحست كأنما الثروة التي نتحدث عنها قد هبطت في حجرها وأصبحت حقيقة ماثلة تتغلب في نفسها على كل شعور أو عاطفة أخرى . وبرقت عيناها بالابتسام

والتمعتا اشبه بشمعة موقدة .. ووددت ان انفجر ضاحكا لولا ان
وجدتني واقفاً على حافة هاوية ، إذ اوقفت نفسي على شفا صخرة
عالية تكفي خطوة طائشة واحدة لان تجعلني اتردى عند سفحها جثة
هامدة . وجعلت اتساءل اين "كازينو" او اعوانه وقد انقضى وقت طويل
على الزمن الذي حدده لدخولي تلك المصيدة واقتحام هذا الفخ اللعين ؟
وتطلعت خفية إلى معصمي لارى الساعة فوجدت انني مكثت في
الشقة خمساً وعشرين دقيقة خلتها اعواما طويلة . وقامت "ليل"
لتجلس بجانبي وهي مازالت ممسكة مسدسها ولكنها لم تكن تسدده
إليّ في هذه المرة ، فادركت انها رغم لهفتها ليست من الغباء في شيء ،
ورثيت في نفسي لذلك المغفل "لاري فينكس" الذي تستغله هذه المراة
الداهية لمصلحتها وتوهمه بانها تحبه . ولكن رثائي للرجل الاحمق
كان ممزوجا بحقدي عليه ورغبتي في أن انتقم منه .

وملأ انفي عطرها الساحر ، وادركت أن حظها الكبير من الثقافة لم
يجعلها تنسى انها حواء الفاتنة الخالبة لالباب الرجال وخاصة من
يجب أن تستغلهم ويجثوا عند قدميها .

وشعرت بالمغص عندما ايقنت ان آخر ما في جعبتي من اكاذيب قد
انتهى ، وانني لو نطقت بكلام آخر فربما كشفت للمراة عن خدعتي .

وانقذني الجرس الذي قطع حبل الصمت الثقيل اشبه بقصف
الرعد . وتطلعت إلى التليفون ولقيت صعوبة كبيرة في منع عيني من
أن تغلقا في صلاة شاكرة سريعة .

وتحركت المراة وانبعث العطر من شعرها وثوبها قويا ، ثم صاحت
ساخطة وهي تقف على قدميها :

- سحقاً لهذا التليفون !

ومضت إليه والمسدس في يدها ، ثم التقطت السماعة وقالت في
صوت حريري :

- هالو ..

وتولتها موجة من الدهش فصاحت :

- من .. "مانويل" ؟ ماذا حدث بالله يا "مانويل" ؟

الفصل السابع

وجلست في مقعدي ماخوذاً بالتغير الذي طرأ عليها بعد أن سمعت
اول كلمات المحادثة التليفونية . ورحت ارمق مشدوهاً توالي الياس
والعجب والاضطراب على أسارير المراة الجميلة ثم كيف عضت شفتها
السفلى القانية باسنانها الناصعة في قسوة وكيف شهقت بعد ذلك
وقالت :

- نعم .. سأتخذ كل حيطة وحذر .. نعم أعدك ذلك .. كلا ليس "ميكي"
هنا فقد ركله "ارسين لوبين" على الدرج ثم اسرع يدخل ويغلق خلفه
الباب بالمزلاج .

وراحت تصغي طويلا ثم نصبت قامتها في توتر غاضب رغم
ارتجاف جسمها إلى أن قالت :

- يا للهْ ! إنني اكرهك يا "نيد" .. أحب أن أراك ؟! أنت .. حسنا .

ثم القت السماعة على المنضدة واستدارت تتفرسني لحظة ثم قالت
لي في لهجة بغيضة :

- يريد أن يتحدث إليك .

وعجبت كيف تكلمت مع "مانويل سافيلا" ثم مع "نيد كازينو"
وتساءلت اي جدران اربعة يمكن أن تضم هذين الرجلين معاً ؟! وشعرت
بكابوس يجثم على صدري وقد خلتني فريسة اتفق عليها الخصمان
"سافيلا" و"كازينو" واتخذا منها كبش الفداء ! وقمت امسك بالسماعة
واضعها على اذني ثم قلت :

- هالو .. انا "ارسين لوبين" .

وخفت أن يفلت زمام التعقل من يدي "ليل" فتطلق على ظهري
مسدسها ثم سمعت صوت "كازينو" يسالني :

- اهذا انت يا "لوبين" ؟ لقد قمت بدورك جيدا ولكن يجب الا تبقى
عندك لانك سوف تتعرض بعد قليل جداً لغزوة من أخطر الغزوات .

فصحت غير واثق بما سمعت :

- اتعرض لماذا ؟

فاعاد قوله ؟

- قلت سوف تتعرض لغزوة خطيرة جدا .

فوضعت يدي على بوق السماعة واستدرت للمراة اقول لها :

- يقول إنني وانت سنتعرض للغزو بعد لحظات .

ولكنها اجابتني ثائرة :

- سحقا لك وله .

فعدت أتحدث إلى "كازينو" قائلا :

- لقد حدثت "ليل" بالغزوة المنتظرة فلم تصدق وتمنت ان اسحق معك سحقا .

ولكنه لم يضحك كما كنت أتوقع بل قال في صوت صارم جعل الدماء تهرب من شراييني :

- دعك من الهذر فإن الوقت يجري جريا وإذا لم تتحاش الغزوات أوقعت نفسك في المتاعب .

قلت محاولا أن اتماسك والا أسفر عن جزعي :

- لقد ظللت أكثر من نصف ساعة ..

ولكنه قاطعني قائلا :

- أصغ إلي . انا الآن في نادي (سيلفر) وقد تحقق ما كنت اعتقده من أن "ليل" تلعب هذا الدور مع عزيزنا "مانويل"، و"جلوريا" في حاجة إلى المعونة بعد أن نجحت "ليل" في جعله ياسرها بدعوة مزيفة إلى النادي ظنا منهما أن يكون البوليس مازال يراقب شقة القاتل المتهم .

ويبدو انه سمع أسناني تصطك لانه صاح بي على الفور :

- ماذا تقول ؟

فاجبته : لاشيء

وعاد يتكلم بسرعة كانما كان يريد حشد أكبر عدد ممكن من الكلمات في أصغر حيز مستطاع من الوقت :

- لقد تاكد لي أن الشقة غير مراقبة من البوليس وأن "ليل" كانت تتوقع أن يتصل إنسان بـ "جلوريا" فاستعانت بـ "ميكي فارجس"

- لقد ركلت "ميكي" على الدرج ويود الآن لو يمزقني إربا إربا وفي هذه المرة انفجر "كازينو" ضاحكا ثم قال :

- سابلغ "مانويل" ما فعلته برجله العملاق .

ولم يرقني هذا المديح واستطرد يقول :

- فور أن أخبرت "ليل" زوجها "مانويل سافيلا" بما حدث جمع أعوانه وطلب إليهم أن يدهموك في الشقة .

- أهذا هو الغزو ؟ وماعساي أن أصنع ؟

- ساتصل حالا برجال البوليس ليخفواإلى نجدتك فيتبع الغزو غزو آخر أدهى وأنكى ..

- هل من مزيد ؟

- نعم .. عندما يدخل رجال "دافيدسون" اهتم بان يكتشفوا القاع الزائف للدولاب الموجود بحجرة النوم الكبيرة .

واقفل السكة قبل أن أمطره بسيل من الأسئلة فاستدرت إلى المرأة التي كانت تراقبني باهتمام ، وسالتها على الفور :

- اتعرفين أن رجال "مانويل" قادمون في طريقهم إلى هنا وتكتمين عني الخبر ؟!

فاجابتني ساخرة :

- وهل تخشى المتاعب إلى هذا الحد يا "أرسين لوبين" ؟

- إذن فانت بسبيل استجوابي يا "ليل" ؟ إنك كنت ستظفرين مني ببعض الحقائق الطريفة ومع ذلك لاتجزعي لما سوف القاه دون أن افضي إليك بما يهمك .

- إنني ارحب بان يعطي "مانويل" درسا قاسيا لكل أفراد الكوماندو العاملين تحت لواء "كازينو" إلى أن يجيء دور "كازينو" نفسه .

- ولكنك تعلمين أن "كازينو" أستاذ يعطي غيره دروساً ! وما كنت اعتقد ان تقضي هكذا هادئة وان تخفي عني خبر قرب مجيء أعوان "سافيلا" لتمزيقي ونهش أشلائي !

- ولماذا أخفيت انت عني أن "كازينو" ذهب مع أعوانه إلى نادي "سيلفر" فلم أعرف إلا عندما كلمني فور أن انتهى "مانويل" من حديثه معي ؟

فهززت راسي ثم قلت :

- ثقي انني لم اكن أعلم اين ذهب وانني جئت هنا لانه طلب إلي

ذلك وادركت من حديثه انه سيلحق بي بعد قليل .

وكانت تجري الامور في تلك الشقة كانما يحركها مخرج ماهر . إذ سرعان مادوت الطرقات على الباب وارتفع صياح (ميكي فارجس) اشبه بولولة المختنق :

- الأولاد هنا يا "ليل" ..افتحي !

وبدا على "ليل" انها لم تعد تقوى على احتمال التحدث إلى سائق السيارة الماكر فجرت إلى الباب ثم رفعت مزلاجه ودعتهم قائلة :

- ادخلوا يا اولاد .. تفضلوا والهبوا ظهر هذا السائق الهاوي!!

وسرعان ما دخل حوالي ستة يتقدمهم "ميكي" وقد ارتسمت الدمامة والقسوة على وجوههم . واندفع "ميكي" نحوي فانشب إحدى يديه في كتفي وضغطها بقوة ووحشية احسست معها ان لحمي قد هراته مخالب فولاذية . وفي اللحظة التالية كنت منبطحاً على الأرض وركبة الوغد على بطني ، ثم راح يكيل لوجهي اللكمات في غير مارحمة او هوادة . وسمعت احد الأعوان الابالسة يهيب به :

- حطم الاحمق بقدمك يا "ميكي"

وضجوا في ضحكاتهم بينما كانت تنهال ركلاته عنيفة على جسمي وتصطدم بعظامي .

ويبدو انني افسدت عليهم لعبتهم بعدم مقاومتي ، وكانما جرح ذلك كبرياءهم فازدادوا وحشية وراحوا يتعاونون على لطمي وركلي حتى وددت لو يغمى علي فلا أحس بتلك الضربات القاتلة . ومنعتني عزة النفس من الصياح بالضراعة وطلب الرحمة و الشفقة، ولو حاولت لما وجدت انفاساً كافية للصياح !! ولم اقو على فتح عيني وقد غامت عليهما سحابة حمراء واخيراً حاولت ان اصرخ لعلي استنفد اخر طاقة في كياني فيعاجلني الإغماء واستريح لحظات من الامي المبرحة.. ثم سمعت وكانني في حلم صوت المراة وهي تقول :

- كفى يا أولاد . كفى يا "ميكي" .. لقد قلت كفى الا تسمعون؟!

وانقطعت عني الركلات والضربات لاسمع صرخات اخرى وجلبة وصياحا ، واحسست بشيء يلمس اعصابي ويبدد غشيتي ففتحت عيني في بطء لارى رجلين يحملانني إلى الحمام يغسلان جراحي

وكدماتي بقطع من الإسفنج و الماء البارد .. وصاح أحدهما :

- مرة اخرى

فإذا براسي ينغمس مرة اخرى في حوض الماء البارد . وشهقت عندما وضعت على وجهي خرقة كبيرة مبللة وامتلا فمي برائحة قوية منعشة . ولما فتحت عيني مرة ثانية قال لي احدهما :

- اظننا جئنا في الوقت المناسب يا "لوبين" .

واحسست ان صوته مالوف لدي ومالبثت ان تفرست فيه لاجده الضابط "نيكلسون" الساعد الأيمن للمفتش "دافيد سون" الذي لايمكن ان يكون بعيداً عن ذلك المسرح في تلك اللحظة .

* * *

ونقلاني نصف محموم ونصف مسحوب إلى غرفة الاستقبال . وفي تلك الاثناء امكنني ان احرك عيني فتطلعت إلى المراة لاشاهد منظراً لايسر ! وتمددت حزيناً على جمالي الذي شوهه الأوغاد !! وسرعان ما وجدت "دافيدسون" يضع مقعدا بجانبي ثم يسالني في صوت جاف :

- اتقوى على كلامي يا "لوبين" ؟

فقلت :

- ساحاول .. ساجلس اولا

ولكن محاولتي جعلتني اتصبب بالعرق واشعر بالالم يرعشني، بيد انني تحملت ، وتجلدت لان الغيظ كان يتملكني ورغبتي في الانتقام كانت تلهبني .. وعدت اقول :

- ساحاول ان اتكلم يا مستر "دافيدسون"

وبرقت اسارير المفتش ثم قال :

- لاداعي للكلام إذا كان يرهقك الآن يا "لوبين" . وإذا كنت تريد طبيبا فإنني ..

ولكني قاطعته صائحا :

- فليذهب جميع الأطباء في لندن إلى الشيطان ؟

والمني حلقي لما خلته صياحاً وهو لا يعدو ان يكون اشبه بالحشرجة فقلت :

- اسقني شرابا يا مستر "دافيدسون" ، ولتعلم أنني رجلك منذ هذه اللحظة .

وأسرع أحد رجاله فجاء بكوب صب فيه بعض الشراب .. وامسكت بالكوب محاولا أن تبقى يدي ثابتة حوله ، ولكن الشراب تناثر فوق حجري ورأيت المفتش يتطلع إلي راثيا ثم تقدم ليعاونني فهززت راسي كأنما يؤلمني أن أبدو امامه ضعيفا وقلت:

- كلا .. كلا

فتراجع خطوة وقد ادرك انني لا اتقبل اي مساعدة في تلك اللحظة.. ورفعت الكاس إلى فمي ثم افرغتها بجهد في حلقي فاحسست تحسناً وقلت :

- الآن أستطيع أن أتكلم .

فأوما "دافيدسون" برأسه وجلس مرة اخرى إلى جانبي ورأيت أحد رجاله يخرج مفكرة وقلماً فقلت :

- منذ ايام بحثت عني مسز "جوزيه سافيلا" وسالتني عن زوجها.. أعني أنها كانت تريد أن تعرف شيئا عن المرأة التي قتلها في سيارتي.. ولم تسألني عن شيء لم أخبرك به يا مستر "دافيدسون" .. ولكنها كانت تريد معرفة ذلك لنفسها ولتستوثق من شيء كان يدور براسها .

ورأيت المفتش "دافيدسون" يومئ برأسه وشاهدته يبتسم في وجهي ليشجعني على المضي في الكلام فاغتبطت وطلبت كاسا أخرى من الشراب وأنا أضحك في سري لاستخدام مفتش البوليس في تزويدي بالشراب باسم الطب ! وعدت لحديثي :

- قالت لي إنها تريد أن تعاونني وكان يبدو عليها الخوف من استهدافي للمتاعب لا من البوليس . وإنما لأنني قلت للبوليس ما كنت أعلمه . أتفهمني يا مستر "دافيدسون" ؟

وكنت حريصا على أن يكون حديثي معه واضحا .. فأجابني :

- نعم يا "لوبين" . استمر .. أرجوك إذا كان الاستمرار لايتعبك.

قلت :

- انا بخير ولكن حلقي .. جاف جداً يحتاج إلى قطرات أخرى من الشراب .. فتجهمت أساريره إما خشية عليّ من الإفراط ، او الخوف

من أن اصبح في حالة لا تسمح لي بالإفضاء إليه بما يريده ، ولكن الرجل الذي كان يحمل زجاجة الشراب كان كريما فبادر يسكب لي في الكاس قطرات سخية من الصهباء الشقراء ! وما إن ابتلعت الكاس - اي ما كان فيها - حتى افقت إلى انني فقدت إحدى اسناني !!

وضايقني ذلك كثيرا ولم افق من تاملات الغيظ و الحنق إلا على صوت المفتش يسالني :

- ما بالك .. هل تريد النوم يا "لوبين" ؟

فقلت : لا .. لا

- إذن استمر .. كنت تقول إن مسز "جوزيه سافيلا" اخبرتك انك قد تستهدف للخطر فهلا ذكرت لك اسم من قد تنالك منه المتاعب ؟

- كلا .. لم تفصح لي عنه وتركتني أخمن .

وكنت اعلم أن مستر "دافيدسون" يهمه أن يعرف ما وقع عليه تخميني ولكنني استطردت قائلا :

- وفاجاتني بانها ليست حانقة علي لقتلي زوجها .

- المهم ماذا حدث ومتى جئت إلى هنا

- الليلة .

- اتعني انك لم تات إلى هنا قبل الليلة ؟

- هذا صحيح .. وقد جئت بناء على دعوتها .

- ولماذا لم تات من قبل ؟

والواقع انني كنت أرحب بكل سؤال يلقيه علي فقلت على طريقتي :

- لا أكتمك أنني كنت زري الهيئة إلى ان امدني "كازينو" بحلتي الانيقة فاستطعت أن أجيء مرفوع الراس .

- وماذا حدث عندما وصلت ؟

- وجدت لقاء حارا في انتظاري وظننتني سائراً إلى مصيدة .

- لعلك كنت سائراًإليها بالفعل !

- كلا .. كلا .. إنهم كانوا يعلمون بلاشك انك قادم إلى هنا .. وبالمناسبة .. كيف حدث أن جئت انت إليّ يا مستر "دافيدسون"؟

ففكر لحظة قبل أن يجيبني :

- وصلت إلى بعض الأخبار يا "لوبين" . هل اخبرت "نيد كازيون"

بانك قادم إلى هنا ؟
- ربما .. لست واثقا .
- أتعرف اين كان "نيد" ذاهباً عندما غادرت مستشفى لامبث ؟
- أظنه قال إنه ذاهب إلى (وست اند) لانني لم اكن اوليه كل انتباهي إذ ذاك .
- ألم يذكر أمامك اسم منتدى ليلي ؟
- ربما .. فقد سمعت أسماء عدة اندية مثل نادي القرد الاسود ونادي الابسايد ونادي سيلفر ..
وترددت بعد ذكر النادي الأخير فقال :
- نادي سيلفر ! ألم يقل "نيد" إنه ذاهب إلى هناك الليلة ؟
- ربما .. فإن رأسي يلف واشعر بدوار شديد يمنعني من تركيز أفكاري .
فتطلع إلي بنظرة ماكرة كانما كان واثقا بان راسي يقوى على كل تفكير وتركيز ثم غمغم قائلا :
- لايهم .. لايهم .
- ولكنك لم تقل لي كيف علمت أنني هنا .
- تلقيت مكالمة تليفونية من مكان قريب من نادي سيلفر بانك في هذا العنوان يتهددك خطر "مانويل سافيلا" الذي يعمل على الانتقام منك لأخيه .. ويخيل إلي أن "كازينو" هو الذي حدثني وانه يعمل ضد "مانويل سافيلا" بغير هوادة .
- إن "سافيلا" هو مدير نادي سيلفر .
- هذا ما أعلمه ويعلمه القليلون فقط .
- الا يجوز أن التي حدثتك مسز "سافيلا" ؟
- كان الصوت صوت رجل يا "لوبين" .
- لعل الذي تكلم أحد أصدقائها .
- أظنها قالت لك شيئا عن زوجها وأخيه .
- هي ؟
- مسز "جلوريا سافيلا" .
- أوه .. نعم ، بلاشك .. نعم قالت .. قالت إن الأخوين استعملا

هذه الشقة مرات كثيرة ولذلك لم تمكث مع زوجها .. لم تقو على ذلك .. وكانت تبكي عندما أخبرتني بانها لم تحتمل أن تبقى في مكان به مخابئ سرية وقيعان زائفة للدواليب الكبيرة .
و كان المفتش قد حبس أعوان "سافيلا" مع "ليل" في حجرة النوم الكبيرة ، فلما فتح بابها انقضوا في وجهي كانما يريدون استكمال منعهم عنه المفتش بوصوله ! وزاد حقدهم عندما خرج "دافيدسون" من مخدع النوم ، ومعه اثنا عشر صندوقا مليئة بالهروين وجدها في القاع الزائف !
وجعلت "ليل" تصرخ وتنكر معرفتها شيئا عن هذه الصناديق ومخابئها ، وحاول "ميكي" أن يحطم قيوده ، بينما استسلم الآخرون لليأس والقنوط . وقال "دافيدسون" لرجاله :
- خذوا هذه الشرذمة .
فاقتادوا تلك العصبة الشريرة وأخلوا منها الحجرة ، واستدار المفتش يقول :
- سنذهب بك إلى المستشفى يا "لوبين" .
وعبثا حاولت ان أحتج وان أؤكد أنني بخير ، إذ قال في إصرار :
- هناك يجب أن تبقى يا "لوبين" .. تعال فسأذهب بك بنفسي .
وقمت على قدمي أغالب الآلام التي كانت لاتزال تغشاني ، ولما رآني أترنح قال :
- إن الشراب الذي احتسيته يكفي رجلاً معافى يا "لوبين" وأخشى أن يكون امتناعك عن الذهاب إلى المستشفى هذيان شديد .. دعني أسندك .
وهكذا قضيت بقية الليلة في عنبر بالمستشفى .

الفصل الثامن

وهناك وضعوني في آخر سرير بالعنبر ولكني رفضت أن يلفوا الضمادات على وجهي وإن قبلت أن يضمدوا ضلوعي . ولحسن الحظ لم ينكسر لي ضلع واحد ولكن رضوضي كانت سيئة للغاية ، فلما خلعوا ملابسي انتابتني صدمة شديدة ، وعندما أويت إلى الفراش مضت الممرضة لتجيئني بمنوم ، ورأيت ملابسي توضع في صوان بحجرة داخلية أمام البسطة الخارجية للدرج .

وجاءتني الممرضة الرحيمة بشرابي : زجاجة من اللبن الدافئ شربته على مهل وببطء شديد كان حلقي كان يؤلمني ، فلما نفد صبر الممرضة غادرتني ، فأسرعت أسكب اللبن في وعاء وجدته بجانب الصوان الصغير الموضوع لصق فراش وعندما عادت الممرضة تظاهرت بأنني ارتشف آخر قطرة في الزجاجة ، فابتسمت وقالت راثية :

- أنت ولد طيب مطواع !

واغتبطت لأن كلمة (ولد) تساق دائما في معرض وصف الشباب. ثم رمقت في النهاية المقابلة من العنبر رجلا من رجال "دافيدسون" جالساً فوق مقعد ، فقلت للممرضة :

- إنني أختلج من تيارات الهواء ولا أحب أن أصاب ببرد بسبب بقائي في هذا الجانب .

فعادت تبتسم معتدة مع ذلك بتفوق معلوماتها ثم قالت :

- حسناً يا مستر "ترثار" !

ومالبثت أن جاءت بستار حجب عني رجل البوليس الرابض في مقعده ، الذي لا أرتاح لرؤيته ، وخرجت الممرضة فرقدت في سريري مغمض العينين مرهف السمع لكل حركة في العنبر ، وكانت رقدتي مصدر عذاب لي ولكني حاولت أن اقتل الساعات الأولى بالتفكير فيما أعتزم عمله .

اردت أولا أن أستوثق مما وجده مفتش البوليس عندما اقتحم قاع الدولاب الزائف بمخدع النوم ، لاأعرف هل عثر على شيء آخر غير

صناديق الهرويين ... وما هو هذا الشيء ؟ أهو مثلا الورقة التي اهتدت إليها "جلوريا" زوجة "جوزيه" في سيارتي ؟ والواقع أن هذه الورقة اللعينة كانت مصدر متاعبي ، وكل ما أعلمه أن لها دخلا بسرقة بعض الكليشيهات الخاصة بطبع الأوراق المالية المزيفة الإنجليزية والأمريكية . وتذكرت ما غمغم به "برت مايلاند" وسط ضماداته فقد اكتشف أمرها قلم المخابرات السرية البريطاني ومن بين ضباطه الكابتن "فاريل" ثم اختفت هذه الكليشيهات بعد ذلك ، وإلى هنا انتهت معلوماتي .

وأعقب ذلك في الترتيب مقتل الكابتن "فاريل" في حادث بعد أن كتب إلى "مايلاند" يطلب معاونته في أمر على جانب كبير من الخطر . وهذا المشروع وذلك السر أودعهما زوجته التي قدمت إلى لندن وقتلها "جوزيه سافيلا" .

وفي أثناء التحقيق قرر المفتش "دافيدسون" أن "جوزيه سافيلا" حجز حجرة للقتيلة "ماري فاريل" بفندق "بيلا مونتانا" في ميدان بيد فورد ، وهذا التقرير يبدو لي الآن أهم مما كان في أثناء المحاكمة .

وكان مدير الفندق واثقا كل الثقة بأن "جوزيه سافيلا" هو الذي احتجز هذه الحجرة ، كما قرر أن "جوزيه" ذهب بنفسه إلى الفندق ليطمئن إلى أنها مريحة ! وهذا من الغرابة بمكان ويعتبر تضييعاً للجهد مادام كان يعتزم قتل المرأة قبل وصولها إلى الفندق فلماذا يا ترى جشم نفسه هذا العناء الذي لاطائل تحته ؟

ولم يستسغ عقلي سوى جواب واحد لهذا السؤال وهو أن شيئا حدث وجعل "سافيلا" يقتل المرأة بين وقت احتجاز الحجرة ووصولها إلى سانت بنكراس حيث اختارت سيارتي وعندئذ ومضت برأسي عبارة قالها لي "كازينو" . عبارة عن كذب معلوماتي وأنها ربما قدمت إلى لندن لتقابل إنسانا آخر غير "جوزيه سافيلا" . وهذه العبارة جديرة بدورها بالاهتمام والتفكير ولكنها كغيرها لم توصلني إلى شيء ، لأنني لم أكن أعلم من التفاصيل ما يمكنني من ربط الحوادث معا دون أن تفصلها ثغرات كبيرة متعددة .

ولم أدر كم من الزمن قضيت في تدبر هذه المشكلة وتقليبها في

خاطري . وحاولت جاهداً أن أكتشف سرها ولكن الحقيقة كانت أبعد من أن أستطيع رؤيتها . وشعرت بجسمي ينهك وبقواي العاقلة تتعب وبأنني في حاجة ماسة إلى النوم ، ولكني لم أكن أرغب في أن أنام بذلك المستشفى وإن لم أدر كيف تنجح خطتي المجنونة في الهرب ؟!

وعولت على أن أغادر العنبر أولا ثم أبارح المستشفى دون أن يعلم رجل سكوتلانديارد ودون أن يطاردني "دافيدسون" في الصباح .

لم أقو على مقاومة الإغراء بالهرب ، ورفعت عني الأغطية وأخرجت قدمي من الفراش واضطررت إلى أن أعض لساني لأحول دون صياحي بالألم و أنا أعذب جسمي بالانحناء والانثناء عند مبارحتي السرير ، فلما نصبت قامتي زايلني كثير من الألم والدوار وغلبتني الحماسة فتسللت تاركا خلفي زملائي المرضى يغطون ويشخرون . ولم يكن مضيئا بالعنبر غير مصباح واحد أظنه كان على المنضدة حيث كانت الممرضة الليلية تقرأ أحد الكتب ..

لم أكن واثقا لأنني كنت أتحرك خلف الستار الذي كانت الممرضة قد وضعته حول سريري وصرف الباب المؤدي إلى البسطة الخارجية وخفت أن يستيقظ المرضى القريبون منه ، ولكن واحدا منهم لم ينتبه من نومه العميق . وتسللت إلى الدواليب، ثم أخذت أرتدي ملابسي وأنا أرتعد من البرد الشديد وتثقلني الضمادات المشدودة حول جسمي.

وبينما كنت ألف رباط عنقي شعرت بأول موجة من الغثيان فتشبثت بباب الصوان وقد شملني الخوف وأنا أتمثل في خاطري صعوبة هبوط الدرج والخروج من المستشفى بهذا الضعف الذي يغشاني ووسط زمهرير البرد في هذه الليلة القارصة . وقلت لنفسي أعللها بالرجاء إن هذا الهواء البارد كفيل بأن يبعث النشاط في أوصالي ..

وتحملت وتجملت بالصبر والجلد .إلى أن استعدت عزيمتي ورحت أفكر في المشكلة الحقيقية التي تواجهني وهي تحاشي من يمكن أن يكون جالسا إذ ذاك بمكتب الاستقبال بالقرب من مدخل المستشفى . ولم تخطر ببالي صعوبة أخرى ، وإن كنت خفت ألا تسعفني القوة

اللازمة للخروج . ولن يجد المفتش "دافيدسون" لمغادرتي المستشفى باعثا معقولا أو مبررا مقبولا . ولكن لم يكن يهمني ما يجده أوما يراه، لأن كل همي كان في أن أغادر المستشفى فحسب .. ولم أشأ أن أفكر طويلا فيما قد يتهددني من إغماء وسط طريقي إلى الخارج أوعند مدخل المستشفى ..

ومشيت شبه زاحف وشبه متوثب إلى البسطة التالية ، وقد أحاط بي سكون مطبق وكأني الشخص الوحيد الذي أوتي قوة الحراك إذ ذاك وقبل أن أصل إلى الطابق الأرضي حدث ما أرعبني فقد كنت وسط الدرج الواسع إلى الدهلز الكبير في الطابق الأرضي عندما فتح باب على غرة وخرج منه رجل وامرأة في هدوء . وكان الضوء الوحيد في الدهليز يكشف عن شعر الرجل الفضي وثوب المرأة الأزرق ، ثم سمعته يحدثها قائلا :

- أظنك أدركت أنني لا أوافق بحال على أن يتعاطى أي منبه على الإطلاق لأن ذلك يسيء إليه كثيراً .

واستمرا يقطعان الدهليز إلى أن خفت صوت الطبيب ، ثم انقطع باختفائه عن عيني بينما كنت أضغط نفسي ضغطا في الجدار .. ولحسن حظي كانت وقفتي في أحد الظلال فلم ينتبه إلى وجودي الطبيب أو الممرضة ..

وبقي علي أن أبلغ المدخل ثم أنطلق إلى الخارج قبل أن تفطن ممرضة الليل في عنبري إلى أن الستار الذي وضعته حولي إنما يخفي فراشا خاويا ؟ وبلغت الدهليز وتلفت حولي يساراً ويمينا ثم تنفست الصعداء عندما وجدته خالياً من كل مخلوق .. ومضيت إلى الضوء في النهاية البعيدة التي تمثل الردهة الأصلية للمدخل . وأحسست عندما بلغته أن أطرافي تتجمد وأن درجة حرارتي قد هبطت هبوطا يهددني بالانهيار والإغماء .

ولكن الرعب الذي تملكني بعد ذلك ألهب النار في جسمي فقد شاهدت البواب الليلي يحمل تحت ذراعه صحيفة مسائية وفي يسراه قدحا من الشاي ، وهو يمضي إلى غرفة الاستقبال قائلا :

- ها هو الشاي .. وفيه سكر كاف .
وسمعت صوتا نسائيا يجيبه :
- لاترفع صوتك هكذا يا بنستول فيسمعك أحد .. ؟
ولكنه قال ليطمئنها :
- لا أحد هنا يا عزيزتي وقد صنعت لك الشاي بيدي .
- ولماذا لم تات بقدح آخر لك ... ؟
- ساصنع لي قدحا عندما آتيك بقدحك الثاني
وسمعت غمغمة شاكرة ثم انزويت في ركن ظليل لانني كنت اتوقع ان يعود الرجل مرة اخرى لصنع القدح الثاني . وكان في وسعي أن اندفع كالسهم المريش إلى المدخل ولكني اغريت نفسي بالتريث والتمكث على الرغم من أن ثائرة أعصابي كانت انذاك اكثر مما احتمل . وبعد دقيقتين تقريبا ، شاهدت البواب يغادر مكتب الاستقبال وعندما رفع عينه إلى المكان الذي كنت اقبع فيه ، تصبب العرق من جبيني وعنقي كانما هب علي فجاة تيار شديد البرودة . وسمعت الرجل يقول :
- لابد أن تشربي قدحاً آخر فإن الليلة قارصة ولتتمكني من الانتهاء من البلوفر الجميل فليس اجمل من صدر المراة في البلوفر !
وضحك الخبير بالنساء والجمال ضحكة أشبه بضحكة الضبع !
وانتهى عذابي عندما رن جرس التليفون العام فدخل الرجل مرة ثانية وسمعته يتكلم ويقول :
- أنا أسف .. لايمكن أن أتصل بالمرضة الآن لأنها في العمل الآن .. كل ما أستطيع أن أخبرك به ياسيدتي أن مستر "لوبين" مستغرق الآن في نومه .. كلا .. لاأستطيع .. حسناً جداً سابلغه باسرع مااستطيع .. ما هو الرقم .. لحظة ،احدة حتى أكتبه ..
وأعاد ذكر الرقم بضع مرات فتمكنت من حفظه عن ظهر قلب .. وعاد البواب يقول :
- أقول له من "جلوريا" ؟ "جلوريا" فقط .. شكراً طابت ليلتك وقبل أن يخطف المفتاح من اللوحة الكبيرة كنت عند الباب الخارجي ثم

فتحته في بطء . واستخفني الفرح حتى كدت اغني . وبلغت الرصيف وبدأت أعدو إلى (كشك) للتليفون قبل أن يغمى علي من التعب والفرح والإعياء .

* * *

وخيل إلي أن عمراً انقضى بين طلبي الرقم الذي سمعت "جراين" بحجرة المستشفى يكرره ، وبين سماع صوت "جلوريا" قائلة :
- المستشفى ثانية ؟
فقلت باعلى صوتي :
- اصغي إليّ يا "جلوريا" .. أنا "ارسين لوبين"
ويبدو أن السرور قد تملكها إذ سرعان ما تبدل صوتها وصاحت :
"لوبين" ماذا حدث يا "لوبين" ؟
اين أنت ؟
وكان يبدو في نبراتها مبلغ لهفتها على أن تعلم .. ووثبت للتو إلى راسي تلك الأوراق اللعينة فقلت لنفسي «لعلها تتلهف على معرفة ما اعلمه بشانها أكثر من لهفتها على معرفة ما حدث لي» : ولكني قلت في صوت واهن بالضعف :
- لقد ارتديت ملابسي وغادرت المستشفى
فصاحت مشدوهة :
- ولكنهم ابلغوني منذ لحظات انك مستغرق في نومك ؟!
قلت :
- الواقع انهم اعطوني منوما ولكني خادعتهم ثم ترقبت الفرصة فتسللت خارجاً وسمعتك تتحدثين مع البواب الذي كرر رقم تليفونك وهو يكتبه لديه ولذلك بادرت فور خروجي من المستشفى فاتصلت بك لانني اود التحدث إليك في امر مهم وأخلدت المراة لحظة طويلة إلى الصمت كأنما تتدبر ما يمكن أن يكون عليه هذا الأمر من الأهمية فصحت بصوت ألم حنجرتي المصابة برضوض من الخارج :
- ماذا ؟! أما زلت هناك ؟
فاجابتني :

- نعم .. أنا مازلت هنا ولكنني فقط أفكر يا "لوبين" ويقلقني ما يبدو على صوتك من أثر التعب والمرض .

- أنا أحسن حالا .

- أين أنت ؟

فأخبرتها قدر ما أستطيع ، ثم قلت :

- بالقرب من منتزه صغير ، غير محاط بسياج منذ أن أتت عليه قنابل الأعداء ..

سأذهب إلى هذا المنتزه وأتمدد على أريكة فيه إلى أن تأتي وتأخذيني .

- ولكنني لا أمتلك سيارة وأخاف ألا يصادفني (تاكسي) في هذه الساعة ، ولا أحب كذلك أن أطلب سيارة من إحدى الشركات خشية أن يكون .

ولم أدر هل كانت هذه الخشية من أجلها أو من أجلي ، ورغم ذلك قاطعتها قائلا :

- إليك يا "جلوريا" هذا الرقم .. رقم حظيرة السيارات التي كنت أعمل بها .

اطلبي "شارلي ريس" فهو الحارس الليلي وأغريه بالنقود التي ترضيه ولا تترددي في أن تعرضي عليه خمسة جنيهات فهو يعمل كل شيء ليحصل عليها ، وإذا تعلل برجل يدعى "باومان" فقولي له : "أرسين لوبين" يقول لك إن "باومان" لن يعطيك خمسة جنيهات، ولابأس من أن تقولي له : إن "أرسين لوبين" يقول إن باومان خنزير بلاذيل، إلى اللقاء قبل أن أقع مغشيا علي .

وخرجت أترنح من فرط الإعياء وقد ساءت حالتي .. ومضيت شبه زاحف إلى المنتزه الصغير ، ثم جررت نفسي جرا فوق إحدى الأرائك حيث استغرقت من فوري في النوم . واستيقظت على يد تهز كتفي في رفق ، وعطر يملأ أنفي ، وشيء يداعب وجهي ويدغدغ أنفي .. وسمعت امرأة تقول :

- عاوني بالله عليك .

وعرفت صوتها فغمغمت قائلا :

- "جلوريا" .. "جلوريا" .

فأجابت تهدئ من جاشي بصوتها الناعم الحنون :

- كل شيء على ما يرام ، وسنذهب بك إلى المنزل يا عزيزي .

وعبثا حاولت أن أنهض وأن أجلس على الأريكة ، فامتدت حولي ذراعا رجل وارتفع صوته الأجش يقول :

- يجب أن نذهب به إلى المستشفى يا سيدتي فإن نظرة إليه تكفي لمعرفة أنه مريض جدا ومحموم .

وبجهد تصنعت ضحكة عالية المتني ، ولكن الرجل قال غاضبا وهو يحملني إلى سيارته :

- أهذه ضحكة ثمل ؟

فقالت "جلوريا" في نبرات تفيض بالاعتذار وقد أدركت لعبتي:

- هو ذلك ، وإن لم يفعل ذلك في حياته من قبل .

وقنع السائق بأنني أفرطت في الشراب ، وأن فتاتي جاءت لتحملني إلى منزلنا .

وأجلساني بينهما في السيارة خلف عجلة القيادة بالتاكيد . ومن عجب أن هذا السائق هو نفسه الذي سلمته السيارة بالحظيرة في الليلة السابقة فقط ، ولكنه لم يتعرف علي مما دلني على أن حالتي كانت بالغة السوء .. وهبطنا أمام بناء مكون من بضع شقق على كثب من شارع كنج ، ثم صرفت "جلوريا" السائق وأدخلتني إلى الطابق الأرضي ، وبعد أن أسدلت ستائرالنوافذ أضاءت النور .

وتطلعت إلى وجهها الصبيح الفاتن وقد تألق شعرها تحت النور أشبه بسبيكة من الذهب .. وانحنت علي بقوامها الرشيق فامتلأت أنفاسي بعطرها الذي يوائمها ويزيد في أنوثتها الصارخة ، ثم قالت بصوت يختلج بشتى الانفعالات :

- كيف حالك الآن يا "لوبين" ؟

فأدرت رأسي على وسادة الفراش الذي أسلمتني إليه ثم حملقت إليها مليا دون أن أقوى على النطق ، فأطبقت بفمها على شفتي تمسحهما . ووددت أن أغمض عيني وأستسلم لنشوة هذه اللحظة إلى الأبد ، ولكن عيني ظلتا مفغورتين إلى أن تراجعت "جلوريا" في كثير

من الارتباك ! وأردت أن أفهمها على الفور أن قبلتها مصطنعة لغرض في نفسها ولغاية تريد تحقيقها . فرفعت نفسي في الحال على مرفقي وقلت :

– لا أكتمك يا "جلوريا" أن الورقة التي أخذتها من السيارة في الليلة الماضية مصدر متاعب كثيرة فإن "نيد" ..

فرمقتني بنظرة حادة وصاحت :

– وما دخل هذا بـ"نيد" وغيره ؟!

ولم أشأ أن أتراجع فرمقتها بمثل نظرتها وقلت :

– أنت أولا تحبينه كما فهمت منك ومن "ليلان" ومن كل إنسان .

فانفجرت ضاحكة ثم قالت ساخرة :

– وأظنك أخبرت "نيد" بذلك بالتأكيد ؟

ولم أدر سببا لسخريتها وإن مضيت أجيبها :

– عندما وجدت البوليس جادا في بحث ملابسات موت "فاريل" أو مقتله اضطررت أن أوضح لـ"نيد" كل ما حدث دون أن أكتم عنه شيئا .. و مما تناوله حديثي معه ما قلته عن الورقة التي كانت مع زوجة "فاريل" (أختك ماري) والتي قلت عنها لو أنها وقعت في أيدي البوليس لكان هو الآن في غياهب السجن .

– وماذا كان وقع كلماتك عليه ؟

– تجهم وتدلت شفته السفلى واضطررت أن أذكره بأنك تحبينه وأنه يبادلك الحب .

– إذن فأنت ذكرته بذلك ؟

وكانت تتطلع إلي بطريقة لم أحفل بها على أية حال فأجبتها :

– هو ذلك . ألم تقل "ليل" إنك فقط تزوجت "جوزيه" نكاية في "نيد" وهذا معناه ..

فقاطعتني قائلة :

– كذا ! كذا !

ثم ابتسمت ابتسامة ماكرة واستطردت تقول :

– لا تحاول يا "كوبين" أن تلعب مرة أخرى دور "كيوبيد" .. إلا إذا كنت تريد الانتحار !

وجرت من الحجرة قبل أن تتيح لي فرصة سؤالها عما تعنيه . فرقدت وأسلمت رأسي للمخدة الناعمة وأنا أكرر لنفسي أنني أحمق مخلوق على ظهر البسيطة ؛ ذلك لأنني رأيتني أقحم نفسي في قضية متعددة الجوانب ، متشعبة المسالك ، متباينة معقدة ..

لن تفضي بي إلى غير السجن ما لم ألتزم الحيطة و أتوخى الحذر . كل الحذر .. فبعد بضع ساعات سيكون المفتش "دافيدسون" قد قلب لندن رأسا على عقب في البحث عني وعولت على أن أسأل "جلوريا" لماذا قابلت حديثي عن حبها لـ"نيد" بمثل تلك السخرية وهو الذي خلصها من مخالب "مانويل" بعد أن أطبقت عليها في نادي سيلفر، ولا يمكن أن تكون من نكران الجميل بهذه الصورة التي رأيتها! وكأنما كنت أكره أن تنكر الجميل حتى لاتنكر جميلي أنا الآخر ، ولم يتح لي أن أسألها أو أن أتحدث إليها في تلك الليلة لأنني مالبثت أن استغرقت في النوم. و لم أستيقظ إلا حوالي الساعة العاشرة صباحا لأجد الغرفة تسبح في ضياء الشمس وأجد "جلوريا" قد خلعت لي ياقة قميصي و حذائي و لفتني في بعض الملاءات ، ووجدتني كذلك أنعم بالراحة و الدفء ، و أن رضوضي قد زايلها كثير من الآلام . وظللت راقدا أصغي إلى جلبة الطريق حتى قدمت "جلوريا" و قد ارتدت ثوبا جميلا تتناثر فوقه رسوم أزهار فاتنة و يضاعف من جمالها . وكانت عيناها غاية في الإشراق ، وابتسامتها فاتنة دافئة مليئة بالترحيب و التهليل و لكنها لغبطتي سألتني دهشة :

– أوه .. هل استيقظت ؟ كيف حالك الآن ؟

فقلت صادقا و أنا أرفع عني الملاءات و الأغطية :

– أخشى أن أكون جائعاً ياعصفورتي .

فأجابتني :

– اغتسل أولا واحلق تجد الفطور معدا .. لقد جئتك الآن فقط بماكينة للحلاقة و أنبوبة معجون لأسنانك .

و ازددت إيمانا بأنها امرأة قديرة وقلت :

– شكراً لك يا "جلوريا" .. لقد أتعبتك .

و جاءتني بأدوات الحلاقة ثم قالت :

- اتحب ان اعاونك على خلع ملابسك ؟ لا تنس انني امراة متزوجة و انني كنت في اثناء الحرب ممرضة

- أوه .. شكراً يا "جلوريا" .. ساخلع ملابسي بنفسي و عانيت صامتا كل عذاب في الحلاقة و الاغتسال ، ولكنني ما لبثت أن شعرت بالراحة والنشاط يدبان في أوصالي ، ورمقتني في اهتمام و أنا امضي إلى المائدة التي أعدت عليها الفطور ، وكانت تدخن سيجارة فجلست لالتهم الطعام وقلت :

- ألا تفطرين معي ؟

ولكنها اعتذرت بانها تناولت فطورها منذ ساعتين على الأقل ثم استرسلت تقول :

- سنمضي في الثانية عشرة إلى سيكومب يا "لوبين" في سيارة اجرتها

وحسبتها تمزح فقلت بفم مليء بالطعام :

- أتظنيني في حاجة إلى بعض هواء البحر ؟

فاومات برأسها وأجابت :

- هذا من ناحية .. ومن ناحية اخرى اهم لانه في سيكومب وقع حادث "فيليب فاريل" زوج أختي الراحلة "ماري"

فادركت أنها جادة ولم تكن تمزح .

الفصل التاسع

وجعلت اتناول فطوري في بطء وانا غارق في لجة من الأفكار ، ووجدتني قد فقدت شهوتي للطعام لفرط ما شغلت رأسي فقلت :

- وماذا يحملك على القيام بدور البوليس السري ؟ هل تنتظرين جدوى من ذهابنا إلى مكان الحادث ؟

فاومات برأسها وقالت :

- بلاشك يا "لوبين" ويبدو أن شكوكا تساورك لأنك لا تعلم الكثير مما أعلمه

- الواقع أنني أجهل الكثير ، مثال ذلك جهلي بمكان الاكليشيهات المسروقة بينما أنت تعلمين أين هي ...

وقد فاجأتها بحديثي عن الاكليشيهات لأرى وقع المفاجأة عليها.. وفعلا وجمت وحملقت إلى وجهي لحظة طويلة خلتها ستعترف بعدها ولكنها قالت :

- انا لا اعلم اين هي يا "لوبين" ويجب أن تصدقني ..

فوضعت الشوكة جانبا ثم تأملتها ملياً لأقول أخيرا :

- انا اصدقك يا "جلوريا" وساذهب معك إلى سيكومب وليفعل "دافيسون" اقصى واسوا ما لديه ، ولكني لا احتفظ معي بنقود فهل لك ان تذهبي إلى المصرف ....

فقاطعتني : اترك هذا لي .

واسترسلت قائلا وهي تعد القهوة :

- والشيء الآخر .. يجب الا تتركيني اتخبط في الظلام لجهلي أكثر الأمور

- ستحتسي قهوتك أولا .

وبعد أن صبت لي ملء فنجاني قالت :

- سأبدأ بأن أخبرك عن السبب في أنني تزوجت "جوزيه سافيلا" ..

- حسناً تفعلين فقد حيرني هذا كثيراً لأن زواجكما رباط يخالف كل طبيعة إنسانية فشكرتني بابتسامة فاتنة وقالت : إن كثيرين غيرك لم

يجدوا في ذلك ما يدعو للحيرة ولم تساورهم الشكوك التي ساورتك في ...

– دعيني اعترف لك أولا بان شكوكا لم تساورني من جهتك ، ولكني فقط صدقت انك تزوجته إغاظة ونكاية في "نيد كازينو" ..

– إنك رجل ذكي يا "لوبين" .

وخفت ان تكون ساخرة على عادتها فقلت : اتركي ذكائي الآن وامضي في قصتك ورحت أرتشف قهوتي .. ولم تتطلع إلي كانما كانت تفكر في كلماتها التالية ثم قالت :

– السبب الذي دفعني إلىّ زواج "جوزيه سافيلا" انني أردت ان ابتز امواله بالتهديد .

قالت ذلك بكل هدوء ، ولكن فنجاني سقط على طبقه وكاد ينكسر ! ولم انطق بحرف لاتركها تمضي في روايتها العجيبة المثيرة فتقول :

– كان أخي اللفتينانت "ترنت" ، وقد قتل كما قيل قضاء وقدراً بعد أن رسا بإحدى السفن إلى هذه البلاد من غرب المانيا ، فقد قامت السفينة برحلة سرية في الليل . وكان مفروضا انها تحمل على ظهرها خططا واجزاء من أسلحة (ف) الالمانية الجديدة ...

وهي أسلحة اكتشف قلم المخابرات البريطاني وجودها في مصانع تحت الأرض .. كان ذلك في نهاية مارس ، وكان القتال ما زال مستمرا بالمانيا ، وكان أخي في قلم المخابرات هذا مع الكابتن ..

قلت لأبين لها انني متتبع قصتها باهتمام : مع الكابتن "فيليب فاريل" ؟

فاومات براسها واستطردت تقول : تماما يا "لوبين" ، فقد كان اخي "روبين ترنت" والكابتن "فيليب فاريل" صديقين حميمين ، وقدم "فيليب" ليقضي الإجازة مع "روبين"، هكذا تعرف بـ"ماري" أختي التي كانت تقضي عطلتها الاسبوعية في المنزل ..

وكان بين ما تحمله السفينة التي يقودها اخي "روبين" بعض الاكليشيهات المتقنة الصنع لتزييف الأوراق المالية الإنجليزية والأمريكية . ونحن نعلم الآن أن حفارين من امهر الصناع اخذوا من البلاد المحتلة ليقوموا بمثل هذه الأعمال . وكانت فكرة الألمان ان

يغرقوا اوروبا وربما العالم باوراق مالية مزيفة مطبوعة بهذه الاكليشيهات . واظنك قرات عن ذلك في الصحف .

– نعم قرات عن ذلك وان ذلك الاكتشاف اقام قائمة رجال اسكوتلاندريارد وإن لم يهتدوا إلى كل الاكليشيهات .

– هو ذلك ومن بينها الاكليشيهات التي كانت في سفينة اخي .

وتطلعت إليها مترقبا مفاجاة جديدة فاسترسلت تقول :

– غادرت السفينة القارة ووصلت في الظلام إلى إنجلترا وما إن رست على الشاطئ حتى حدث انفجار على سطحها وقتل اخي بمثل ماقتل "فيليب فاريل" فيما بعد !

ورغم ذلك توقعت مفاجاة جديدة فرحت ارهف السمع وانشات "جلوريا" تقول :

– كان في السفينة بعض الفدائيين (الكوماندو) بقيادة الكابتن "كازينو" ، فلما وقع الانفجار قذف باخي وبعدد من الرجال إلى البحر كما انفجر جزء من جانب السفينة وقتل بعض الرجال وجرح البعض الآخر . ورفعت السفينة بعد أن غاصت حوالي ٣٦٠ سنتيمتراً ، وعثر على كل المواد المرسلة من قلم مخابرات الجيش البريطاني فيما عدا الاكليشيهات فقد اختفت يا "لوبين" او على الاقل لم توجد على الإطلاق!!

– الهذا تعتقدين انها سرقت ؟

– لهذا ولسبب آخر .. قلت لك إن الكوماندو اي الفرقة الفدائية كانت بقيادة الكابتن "كازينو" ، ولكن "كازينو" لم يقم بتلك الرحلة فإن جثته لم يعثر عليها في البحر وكذلك لم يكن بين من انقذوا من براثن الموت . وكان يمكن الرجوع إلى السجل لولا انه ضاع في اثناء الانفجار!!

– لابد أن الكابتن "فاريل" قد اهتم بالأمر وقام بعدة تحريات دقيقة .

– حدث قبيل التحقيق ان كتب "كازينو" لـ"فيليب فاريل" يؤكد له الصدمة التي شعر بها عندما سمع الحادث وانه يحمل للفتنانت "ترنت" كل شكر واعتراف بالجميل ، إذ أرسل إليه يعفيه من الاشتراك في تلك الرحلة فاعفاه من الموت في الحادث !!

- وهل اطلع احد على الرسالة التي تلقاها "كازينو" من اخيك اللفتنانت "ترنت" ؟

ـ لم يشك "فيليب فاريل" في الامر بل قبله على عواهنه وبذلك لم يجئ ذكر للكابتن "كازينو" في التحقيق .. غير أن "فيليب" فقد صديقه الحميم فعول على أن يقوم بتحريات خاصة ومالبث أن اكتشف حقيقة مهمة وهي أن "كازينو" صعد إلى ظهر السفينة قبيل إقلاعها ببضع ساعات وهو يحمل حقيبة كبيرة ثم غادرها بعد نصف ساعة ، وهو مازال يحمل نفس الحقيبة ! وقد أبدى احد البحارة من فرقة الفدائيين استعداده للشهادة بذلك : ولكي أعاون "فيليب" في معرفة الحقيقة ، بدأت أوثق علاقتي بـ"نيد كازينو" وأوطد صداقتي معه :

وصبت لنفسها فنجاناً أخر من القهوة ثم أشعلت سيجارة قبل أن تسألني :

- ألك أن تساعدني في غسل الصحون والفناجين لانني احب أن أترك الشقة نظيفة على الدوام قبل خروجي ؟

ولم أكن إلى تلك اللحظة قد أخبرتها بموافقتي على الخروج معها ولكنها كانت تأخذ أكثر الأمور قضية مسلمة ، فقمت معها ورحت أجفف كل صحن وفنجان تغسله .. ولم اكن اجيد ذلك فتركت (طبقا) يهوي على الأرض فلم تؤنبني بل راحت تلم الشظايا في سكون وهي تقول :

- وسرعان ما أصبحت و"كازينو" صديقين حميمين وعجبت إذ وجدتني أستظرفه رغم اعتقادي أنه من أسوأ الناس وأكثرهم دهاء!

- أتعنين انك كنت واثقة انه سرق الاكليشيهات في حقيبته بعد أن ترك قنبلة موقوتة في السفينة ؟

فأجابتني في صراحة :

- الواقع انني لم أشغل بالي بذلك كثيرا بل وجدتني بلا فائدة لـ"فيليب" الذي أخبرني انه توصل إلى أمور كثيرة منها ماقاله البحار الفدائي من انه شاهد "كازينو" على ظهر السفينة قبل إقلاعها ومنها أن رجلا آخر شاهد "كازينو" في نفس اليوم يستقل قطاراً حاشداً بجنود في الإجازة ومازالت الحقيبة معه ، وقضى "فيليب" بعض الوقت في

تحريات أسفرت عن الاهتداء إلى جاويش بالفرقة الفدائية أكد أنه شاهد "كازينو" يعطي الحقيبة إلى رجل أجنبي الملامح في مشرب عام بـ"هاروتش" .

- أظنني خمنت من يكون هذا الرجل !

- لم يكن - كما فهمت بالتأكيد - سوى "جوزيه سافيلا" ، ومضى "فيليب" إلى حيث غرقت السفينة ولكنه وجد وفي رأسه جرح بالغ وقد امتلأت رئتاه بالماء ، وانتهى التحقيق بأنه مات قضاء وقدراً ولذلك قررت "ماري" أن تجيء بالأوراق التي قيد فيها "فيليب" مستنداته وأنت تعرف ماذا كان مصيرها بعد ذلك واشعلت سيجارة أخرى ثم استرسلت تقول :

- فاتني أن أذكرلك أن "فيليب" طلب إليّ أن أستمر في نشاطي الخفي فأتعرف بـ"جوزيه سافيلا" ولم يكن ذلك صعبا فقد كان يتردد على الأندية الليلية مثل نادي سيلفر .

وهناك قابلته وتحدثت إليه عن "كازينو" . وكانت "ليلان" تكرهني لأنها كانت تريد "جوزيه" لنفسها وإن لم تستطع المخاطرة بفقد أخيه "مانويل" واهتمامه بها ..

وابتسمت إذ رأتني أتتبعها باهتمام وكلي آذان صاغية ثم قالت:

- أظنك بدأت تهتم بالقصة أيها الروائي ؟

فأجبتها على الفور : لست روائياً ولاأذكر أن مكتبة انتفعت مني بشئ

- إذن أنت من النوع الذي يستعير الروايات ولايعيدها لأصحابها؟

- لم استعر رواية أو كتاباً قط .

ثم أمسكت بكتفها وأدرتها صائحاً : لماذا تزوجت "جوزيه سافيلا" ؟ أكنت مجنونة ؟

قالت في صوت ناعم : أيهمك أن تعرف ؟

- كل الاهتمام .

وشعرت بحلقي من الجفاف بحيث لا أقوى على مزيد من الكلام فاكتفيت بأن قلت :

- استمري في قصتك .. انسي أنني قاطعتك

- كان "نيد كازينو" قد أخبرني بأن "جوزيه" متزوج فلما حدث في ليلة أن غلبه السكر وطلب إليّ أن أتزوجه، قبلت على الفور وهكذا تزوجنا ، وكان من السهل عليه أن ينسى زوجته التي كان قد تركها في جبل طارق وأزمع ألا يتصل بها بعد ذلك .

- إذن هذا ما قصدته من قولك إنك تزوجت "جوزيه" لتتمكني من ابتزاز نقوده بالتهديد .

- هذا ما قصدت إليه فما إن انقضت ساعة واحدة على زفافنا حتى جابهته بالحقائق المرة وقد أنصت إليّ وهو شبه رجل يستمع إلى الحكم عليه بالإعدام ، وكاد يركع عند قدمي ، فقلت له إنني سأظل متكتمة هذه المهزلة الزوجية مادام يطيعني وينفذ كل ما أطلبه منه وإلا..

قلت في حرارة : ألم تفطني إلى أنك كنت بذلك تخاطرين بحياتك ؟

فهزت رأسها وقالت : كلا يا "لوبين" ، ولم أفطن إلى أنني كنت أخاطر بحياة آخرين إذ لم ينقض على ذلك الزواج ثلاثة أيام حتى لقي زوج أختي مصرعه في سيكومب ..

وهناك رجل واحد - غير "جوزيه" - يعلم ما فعلته ، وهو "نيد كازينو" .. فرحت أتحاشاه خصوصا بعد أن وضعت نفسي في معسكر الأعداء . وحدث بعد ذلك أن تلقت أختي رسالة بأن صديقاً لزوجها الراحل الكابتن "فيليب فاريل" يريد مقابلتها في لندن ، وأنه كان يعمل في خدمته مع مراسلته القديم "برت مايلاند" ، وأنه يرجو أن تحضر معها كل ما تركه زوجها "فيليب فاريل" من أوراق وقال الشخص المجهول إنه احتجز لها غرفة بفندق (بيلا مونتانا) . وقدمت إلى لندن .. وفي سانت بنكراس أقللتها أنت مصادفة في سيارتك .

- إذن "جوزيه" هو الذي دبر مقتلها .. ولكن ماذا عن حادث السفينة في سيكومب ؟

- لا أدري بعد ، فربما يكون من تدبير "جوزيه" أو "مانويل" أو "نيد كازينو" .

وبقي لدي سؤال أحببت أن تجاوبني عنه فقلت : إذا كان "جوزيه" قد عني بأن يحجز لأختك حجرة بالفندق وعمل على أن تجيء إلى لندن،

فلماذا أطلق عليها الرصاص ؟

فسألتني مشدوهة : ألا تعرف حقيقة ؟!

- كلا .

- عندما تلقت "ماري" .. هذه الدعوة من غريب عنها حاولت أن تتصل بي بشقة "جوزيه" ولكنني كنت في شقتي هذه التي اخترتها لنفسي .. ويبدو أن واحدة تلقت منها المكالمة التليفونية وادعت في رفق أنها صديقة حميمة لي وأزالت كل شكوك "ماري" .

- أتتهمين "ليلان" ؟

- نعم .. ومن حماقة أختي "ماري" أنها أفضت إليها بأن الأوراق التي تحملها كفيلة بأن تلقي "كازينو" في السجن ، كما أدركت منها قبل أن "جوزيه" في مأزق حرج . ولعلك أدركت بدورك لماذا هاج "جوزيه" للتفكير في أن أوراق أختي ستلقي "كازينو" في السجن ؟، ولماذا عول على قتلها قبل أن يتاح لها عمل شيء بهذه الأوراق ؟

الفصل العاشر

كانت الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة عندما استقللنا السيارة من شلسي ..

ووضعت في المؤخر حقيبة تحتوي على بعض اشياء كانت لاخيها ثم أرسلت بعد وفاته لأختها "ماري" ، فلما قتلت هذه أخذتها "جلوريا" واودعتها احد الأدراج . وعولنا على أن ننزل في فندق كرافن بسيكومب حيث كان يقيم "فاريل" وزوجته "ماري" ، وان نتخذ اسم "هندرسون" واخت له ، وان نمكث ما يكفي لتحاشي إلزامنا بتقديم بطاقات التموين والكشف عن حقيقتنا . ولم اكن ادري ما تسفر عنه هذه الرحلة. ولكنني لم أكن اعتزم النكوص بحال بعد أن وجدت في القصة ما يثير كوامن رجل مثلي اعتاد الاشتراك عمليا في كل جريمة غامضة تعترض سبيله ، ولانني اعتزمت - بعد التدليل لرجال اسكوتلانديارد على حسن طويتي - الا أستمر في تظاهري بالعمل سائقا متواضعا ، بل ساعاود نشاطي في نطاق واسع يتفق مع ماضيَّ الحافل وشهرتي الواسعة.

وجلست في الخلف بجانب "جلوريا" معجبا بالروح العملية التي تغشاها بل وتغشى معظم النساء في أوروبا بعد ان ساهمن في الحرب عاملات وممرضات وموظفات .. جنبا لجنب مع الرجال، وانتعشت بالهواء الذي يصافح وجهي حتى إذا بلغت الساعة منتصف الثامنة توقفنا لنتناول الغداء في مكان يبعد خارج لندن حوالي ١٦ كيلو متراً وكنا قد تاخرنا عن الموعد وعلينا ان نتناول ما بقي في المطعم الخاوي من ماكل ومشرب .. ولم ادر لماذا توخت "جلوريا" ان تحدثني عن شقة "سافيلا" في ريبارك وعن القاع المزيف بدولاب مخدع النوم والذي حرص "كازينو" على أن الفت إليه انظار مفتش البوليس . وكان جليا أن "كازينو" يعرف محتوياته وكنت اظنه استقى هذه المعلومات من رفيقتي "جلوريا" ولكنها لم تتطوع باي إيضاح .

وراتني غائصا في افكاري في اثناء تناول الطعام فابتسمت

وسالتني :

- الا يروقك الطعام ام تندم على اصطحابي ؟

فقلت لها بادي الاهتمام :

- كنت افكر في بضعة امور يا "جلوريا" .. فإنني اشبه بذبابة مسكينة وقعت في نسيج عنكبوت لاتعرف اوله من آخره ولا تدري كيف التخلص من حبائله الدقيقة القوية فاجابتني والابتسامة مازالت تتالق على وجهها :

- انا لست عنكبوتاً يا "لوبين" ..

- بالتاكيد لان العنكبوت قذر ، ولكني اعني بالعنكبوت ذلك الذي غادر المنزل منذ أيام ونسي ما تركه في القاع المزيف بالدولاب الكبير في مخدع النوم .

ولما وضع الخادم القهوة امامنا ثم انصرف وعدنا وحدنا قالت في هدوء :

- إذن فانت تعرف ! لابد انك كنت على التليفون عندما اخبرني "نيد كازينو" بان الأمر عاجل وانني يجب ان أخبره بالحقيقة لابرر للبوليس غارتهم على الشقة وغزوهم لها وإيجاد مادة للصحف التي تصيد عادة في الماء العكر .

- هذا ماقاله لك يا "جلوريا" ولكنه يلتمس المبرر للقبض على "ليلان" واعوان "سافيلا" في الوقت المناسب .

- من فضل الله ان وصلوا في الوقت المناسب يا "لوبين" .

- ولكنك لم تخبريني كيف علمت بوجود القاع المزيف لذلك الدولاب ؟

وكنت اتوقع ان تتحاشى الرد او تروغ منه ، غير انها اجابتني على التو :

- كان لدي مفتاحي الخاص للشقة فكنت ادخلها واخرج كما وعندما أحب ، وهكذا انتهزت إفراط "جوزيه" في الشراب فعرفت منه السر ، ثم عثرت عليه ورايت بنفسي صناديق المسحوق وإن لم ادرما هي .

- ولكن "كازينو" عرف إنها تحوي هيرويين .. ؟

- لعله كان يتوقع شيئا من هذا القبيل ويبدو انه كان يعول كثيرا

على معاونتك له .

فجفلت لهذه التهمة الخطا لانني إنما ذهبت إلى الشقة بسبب ما قاله "كازينو" عنها ، ولكني لم استطع ان اقول لها ذلك فسألتها:

- وكيف ذهب بك "مانويل" إلى نادي سيلفر ؟

- يبدو ان "كازينو" كان ثرثارا في اللحظات التي امسك فيها بالتليفون . اليس كذلك يا "لوبين" ؟

فهززت كتفي وقلت :

- إن "كازينو" شديد الذكاء ويعرف دائما مايريده وكيف يحصل عليه . ولكني ارى انك لم تحدثيني عن سيلفر .

- ليس ثمة حديث طويل ، فإنني عزمت على ان اذهب إلى شقة "جوزيه" في المساء التالي بعد ان غادرتك وطلبت إليك ان تتصل بي تليفونيا بعد يومين لانني اردت لنفسي سعة من الوقت لدراسة الاوراق التي عثرنا عليها في سيارتك وقد فحصتها جيداً في شلسي .

- إذن فهي في مكان امن ؟ الم ينتزعها منك "مانويل" او "كازينو" ؟

- لقد أرسلتها إلى فندق كرافن في سيكومب بعنوان مس "هندرسون" .. أرسلتها مسجلة يا "لوبين" . وسنجدها في انتظارنا عند وصولنا .. الم تكن فكرة صائبة ؟

- جدا .. جدا .. وتدل على فرط ذكائك يا اختاه !

- ومضيت إلى شقة "جوزيه" بعد ظهر اليوم الذي قابلتك فيه فوجدت "ليلان" و"ميكي" هناك في انتظاري . وكانت "ليلان" تريد ان تنشب اظفارها في وجهي ولكن "ميكي" منعها كانما لديه اوامر بذلك من رئيسه . وذهبنا إلى نادي سيلفر حيث تركت في حجرة مقفلة بالتاكيد حتى يتدبر "مانويل" مايجب عمله . وعرفت فور ان نظرت إليه انه شديد القلق ثم مالبث "نيد كازينو" ان جاء في الوقت الذي كان "مانويل" قد أرسل أعوانه الطغاة لينكلوا بك .

ورجع الخادم فمضينا ننتهي من تناول الطعام ثم غادرنا المطعم، وعادت "جلوريا" تتولى القيادة فجعلت افكر من جديد في هذه الالغاز التي تتنافر اجزاؤها ويصعب لم شعثها !

وران الصمت علينا إلى أن أوقفت "جلوريا" السيارة لتشتري اخر

طبعة من إحدى صحف لندن المسائية . وتصفحتها على عجل لأجد شيئين على جانب كبير من الاهمية . احدهما ان نادي سيلفر في سوهو تغير صاحبه إذ اشتراه "نيد كازينو" من صاحبه القديم - كائنا من كان - لان احداً لايعرف اسمه ، والشيء الثاني كان بحروف كبيرة عن حوادث شقة ريبارك ثم الفقرة التالية في ذيل الخبر :

"ومن المفهوم أن رجلا اختفى من مستشفى بـ"لندن" في ساعات مبكرة من هذا الصباح والمعتقد انه مصاب بعدة إصابات في جسمه ووجهه، ويرغب رجال البوليس في استجوابه بشان الغارة التي شنوها على الشقة في ريبارك . ولما كانت شخصية هذا الرجل غير معروفة إلى الآن فالبوليس يتوقع ان يقدم نفسه فور قراءة هذه الأخبار"

وتلا ذلك ما قام به رجال الأمن من تحريات في مختلف مستشفيات لندن بلا جدوى !

وكنت قد قرأت كل مايهمني فالقيت الصحيفة جانبا وانا واثق بان المفتش "دافيدسون" قد أطلق رجاله يبحثون عني في كل مكان. وناولت "جلوريا" الصحيفة فقرأت ما شاءت ثم قالت في اقتضاب:

- لاشك أن صحيفة الصباح التالي ستحوي ما هو أهم وأروع!

وأملت أن تكون خاطئة فيما تتوقعه . ولكني احجمت عن قول ذلك .

وعندما بلغنا الكيلو الحادي عشر تقريبا خارج سيكومب . لحقت بنا سيارة غاية في الجدة والاناقة ثم مرت بنا فاسترعى نظري فيها انها ليست جديدة بالنسبة إليّ ! والقيت عليها نظرة أخرى فدهشت إذ وجدتها نفس السيارة التي سقتها عبر لندن بعد زيارة "دوللي مايلاند" ! وكان يسوقها "نيد كازينو" متجهم الأسارير .

وانطلقت السيارة تنهب الارض فلم اقل شيئا ولكني تطلعت إلى جلوريا لاجدها لم تتبين شخصية سائق تلك السيارة التي مالبثت ان اختفت في منعطف من الطريق ، فتنهدت تنهد الراحة والخلاص ..

ولكن ما إن استدرنا حول ذلك المنعطف حتى كدنا نرتطم بتلك السيارة لولا ان اوقفت "جلوريا" سيارتنا على الفور وبعنف . وقبل ان تقف تماماً كان الباب من ناحية "جلوريا" يفتح وإذا بصوت "كازينو" يصيح بها :

- اخرجي !

وكان إلى جانبه رجل اقصر منه قليلا اسمر الوجه عرفت فيه "مانويل" وخلفهما وقف "فريد" و"ستيف" و"هانك برودسون" وجميعهم عابسو الوجوه !! ولما خطونا إلى الطريق قال "كازينو":

- حسناً يا "هانك"

فوثب الأمريكي إلى السيارة التي كانت تعترض الشارع الضيق فدار بها حتى تقدمت سيارة "جلوريا" . وشعرت بعيني "مانويل" تستقران على وجهي وكرهت ذلك كل الكراهية . بينما استدارت "جلوريا" لتواجه "كازينو" وتقول :

- حسناً .. ماذا .. ؟

فنهرها صائحا :

- اصمتي فقد سببت متاعب لعينة لكل إنسان !

ثم التفت إلى الأمريكي يقول :

- حسناً يا "هانك" . ساترك هذه السيارة الأخرى بعض الوقت لنمضي إلى سيكومب في غير موكب .

إذن فهو ذاهب إلى سيكومب !! ونظرت إلى "جلوريا" التي كانت تحاول عبثاً ان تحل هذا اللغز .. ولكنها كانت مرفوعة الراس بادية الكبرياء والاعتداد بنفسها .

وطلب إليها ان تركب في السيارة الأخرى وان اجلس انا خلف عجلة القيادة في سيارتها ومن خلفي "كازينو" و"سافيلا" يدخنان وإلى جانبي "هانك" . ومضينا من جديد في طريقنا إلى سيكومب . وامرت ان اتبع السيارة الأمامية وان اقف عند اول حظيرة . وفجاة سالني "كازينو":

- ماذا قالت لك يا "لوبين" ؟

وكان صوته بارداً خالياً من كل امارات الصداقة والود فقلت له:

- إنني ارثي لشرائك ذلك المنتدى الليلي يا "نيد" . فقد زاد الأحمال والاعباء التي تثقل ظهرك ودل تصرفك على انك لا ترى إلى ابعد من انفك !

فزمجر وقال :

- إن الدسم في النار

- دسم من ؟ ونار من ؟!

وارتفع صوت "سافيلا" يلعن بالإسبانية وقال "كازينو" ساخطا:

- اصغ إلي ! لقد اثارت هي الدنيا لرغبتها في عمل شيء من اجل اخيها فعرفت الكثير عني وعن الحقيبة التي تناولها "جوزيه" مني واظنها اخبرتك بهذا كله بالتاكيد .

قلت : بالتاكيد

- هل قلت لك إن اللفتنانت "روبين ترنت" كان وغداً رخيصا ارسلني إلى ظهر السفينة لآخذ حقيبتي المليئة بطرود مختومة بالشمع الأحمر ثم استقل قطاراً وانتقل بعد ذلك في قارب إلى هارويش حيث اقابل رجلا بالذات وأسلمه الحقيبة . وقد طلب إليّ أن افعل ذلك لأن هذا كله كان بناء على رغبة قلم المخابرات الحربية دون أن يسمح لي بالتساؤل ومحاولة تفهم المقصود من وراء ذلك !!

وراح يسعل لحظة فقلت :

- بل هذه قصتك انت !

- ماذا تعني ؟

- اعني أن اللفتنانت "روبين ترنت" قد قتل عندما رست السفينة على الشاطئ .

فزمجر "سافيلا" وقال "كازينو" ساخراً :

- المفروض أن اللفتنانت "ترنت" قد قتل وان جثته لم يعثر عليها وانها اختفت من السفينة كما ان احداً لم يره على ظهر السفينة .. وتدل الظروف كلها على انه صعد إلى ظهرها فور أن اشعل فتيل القنبلة

قلت :

- وهل هي تعلم ذلك ؟

- إن لم تكن فستعلمه في الحال .

ورايتني اصيح فيهما متهكما :

- اراكما تتفقان بسهولة !

ولكن "كازينو" ابتسم وخاطبني قائلا :

- لا تكن أحمق يا "لوبين" ! إنني و"مانويل" نتبادل الكراهية ويود كل منا لو يقضي على الآخر ، ولكننا اتفقنا فقط على هدنة مسلحة إلى أن تنجلي الأمور وخاصة في عيون البوليس . وقد قابلت "دافيد سون" في ساعة مبكرة من صباح اليوم فامطرني وابلامن أسئلته حتى لأعتقد انه قد فحص جميع الملفات بقلم المخابرات البريطانية الحربي .

قلت : إذن فانت لم تضع وقتك سدى !

ورأيت حظيرة السيارات عن كثب فتوقفت وهبط "كازينو" ليقابل صاحبها ثم عاد في أقل من ثلاث دقائق ليقول :

- سنترك السيارة هنا .. تعالوا

فمضينا نستقل سيارة أخرى عند باب الحظيرة ، وربت "كازينو" على كتفي ثم قال :

- خذ مفتاح السيارة واحتفظ به .

وسألته : ماذا افعل به ؟

فاجابني : لاتلق أسئلة حمقاء يا "لوبين" .

وبلغنا باب السيارة الأخرى ودخلناها ، ثم تولى "هانك برودسون" القيادة إلى أن اقتربنا من مدخل فندق كرافن .. وانا شخصيا اجد سيكومب شبه ميتة في نظر رجل مثلي عاش في المدن .. ولكنني اغتبطت بانها لم تكن تعج بالناس لانني كنت أحس بان الأشياء من التعقيد بحيث لا يجب لفت أنظار الناس إليها . وخرجت "جلوريا" من السيارة الأخرى أولا ومضت إلى الفندق ، ثم خرج "كازينو" و "سافيلا" يحملان الحقائب التي كنا قد جئنا بها من السيارة التي غادرناها في الحظيرة ... وسألني "كازينو" :

- أي اسم سجلته هي في الفندق ؟

فاجبته :

- هندرسون واخته .. ارجوك أن تتركني معها نصف ساعة حتى اهيئها حتى للمقابلة واروضها على المصارحة .. وبعد نصف ساعة تدخل أنت و "سافيلا" وتسمعان ما تقوله .. مارأيك؟ - حسنا .. امامك نصف ساعة .. على الا تحاول شيئا يكلفك غالياً يا "لوبين" ..

حاذر أن تكون أدهى من اللازم ، بل اترك الأمور تتخذ طريقها فذلك خير لك ولنا ثم استدار و "سافيلا" يوليانني ظهريهما عائدين إلى السيارة التي انتقل بها "برودسون" بعيداً ، فمضيت إلى الفندق بالحقائب التي بيدي لأجد "جلوريا" جالسة على مقعد في مكتب الاستقبال وقد شحبت أساريرها وتبدى في عينيها ما جعلني أتلهف على احتضانها والتأكيد لها أنني سابقى معها ولكني قلت لها إنه يحسن أن نسجل اسمينا الحقيقيين .

فتطلعت إلي وقد احتشدت في عينيها عشرات الأسئلة التي افقدتها إشراقها وقالت :

- أشعر كانني مريضة ، وأود أن استلقي في حجرتي ربع ساعة على الأقل .

- فقط ربع ساعة لا أكثر لأن الآخرين سيعودان بعد نصف ساعة ورأساهما ممتلئان بالكثير ، ويجب أن أتحدث إليك قليلا قبل رجوعهما .

فاومات براسها وقالت :

- حسنا يا "لوبين" .. تعال إلى حجرتي بعد عشرين دقيقة .. أوه .. إن رأسي يكاد ينفجر بالصداع !

- ولكن عشر دقائق لا تكفينا للتحدث .

- ربما لا نحتاج إلى أكثر من ذلك .

وغادرتني لأمضي إلى المكتب حيث جلس رجل أصلع حالك اللحية يضع منظاراً داكنا على عينيه وينحني على سجل يقيد فيه بعض الأرقام ، فلما سمع وقع قدمي رفع رأسه وخاطبني باسما :

- آه ! مستر "هندرسون" ؟ لقد أخبرتني أختك انك قادم وراءها على التو .. إن اسمي "روجز" وسوف أريك حجرتك ، ولكني أخشى ألا نستطيع تقدم كل مايجب من طعام وشراب في هذه الأيام العصيبة كما تعلم .

فاومات براسي ، وتقدم يحمل إحدى الحقيبتين ، فرثيت للرجل يقوم بعملين متناقضين :

كاتباً وحمالا . وأدركت أن الموسم في سيكومب غير طيب .. وكانت

غرفتي تطل على فناء قديم جعلوه عدة حظائر للسيارات بينما كانت غرفة "جلوريا" في نهاية الدهليز .

وجلست ادخن وانا اتطلع بين الفينة والاخرى إلى ساعتي والعن الدقائق الزاحفة في بطء ، ومضيت اقلب في خاطري ما ساقوله لها ولكني تذكرت آخر كلماتها لي :

- ربما لن تحتاج إلى أكثر من الدقائق العشر .

فشعرت بانها تحمل معنى كاسفاً مشؤوما لم اتبينه أول ما سمعت تلك الكلمات . ونفد صبري قبل انتهاء الموعد فمضيت إلى نهاية الدهليز وأدرت أكرة الباب ولكن الباب لم ينفتح لانه كان مغلقاً من الداخل بالمزلاج واضطررت إلى طرق الباب والصياح :

- "جلوريا" !

فسمعت من الجانب الآخر ما خلته انة او شهقة على الأكثر !!

الفصل الحادي عشر

لم اتردد بل تراجعت خطوة ثم دفعت الباب بكتفي وبكل قوتي ، ولكنني مالبثت أن تبينت صعوبة هذه المحاولة مادام الباب مغلقاً بالمزلاج الحديدي من الداخل .

وبرحت بكتفي الآلام وشعرت بشبه دوار لانني كنت لاازال اعاني الضعف ولا اقوى على بذل اي مجهود عنيف بجسمي المليء بالرضوض والكدمات .

وكدت اياس لولا ان عدت ففكرت في أن مزلاج الفنادق ليس مما يستعصي على رجل ذي عزيمة وإصرار ، فعدت إلى الباب ادفعه بيدي حتى تمكنت من لخلخة المزلاج هوناً ما .. وتراجعت الوك لساني من الحنق ثم استعملت الكتف الأخرى ونجحت في مسعاي .

واسرعت إلى الحجرة لأجد بابها مفتوحاً على مصراعيه . ورأيت منضدة صغيرة تعلوها حقيبة يد "جلوريا" . وظرفاً عليه بعض سطور بقلم من الرصاص . بينما كانت قبعتها على الأرض بجانب معطفها كانما القيا عمداً ! وشاهدت حقيبتها الكبيرة مفتوحة وقد اطل منها ثوب حريري تدلى نصفه على الأرض كانما فوجئت "جلوريا" عندما اخذت تخرج هذا الثوب بما جعلها تترك الحقيبة على الفور .

وبادرت عيناي إلى الفراش فوجدت "جلوريا" فوقه وقد تدلت إحدى ساقيها على جانب منه وانطوت تحت ركبتها .. وكانت تشهق في صوت مختنق بينما كان الرجل الملتحي يحاول خنقها!! وكالدوامة انقضضت على الرجل احفر بأصابعي في عينيه إذ كان واجباً علي أن أعمد إلى طريقة يائسة لأنقذ المرأة من الموت . ولأن العراك الطويل كان فوق ماتحتمله قواي الواهنة إذ ذاك .. وسرعان ما غادرت يدا القاتل رقبة "جلوريا" واستدار إليّ يكشر عن انيابه الناصعة فامسكت بلحيته صائحاً :

- أيها الخنزير ! أيها الخنزير !

وأسرع يلكمني بكل قوته في بطني حتى خلتني سافرغ كل ما في

جوفي على راسه وتراجعت نحو الباب المفتوح لاستجمع قوتي فانقض علي . وكنت ابكي من التعب والالام واخذت الحجرة تسبح امام عيني ، ولكنني عندما اصبح على مقربة مني قست المسافة بينه وبيني جيداً ورفعت قدمي اليسرى واهويت بها على وجهه .. وافلحت الضربة والمناورة فتراجع الرجل يزمجر بالالم ويمسح الدم المنبثق وجهه . ولكنه لم يفقد توازنه وعاد يرفع راسه ويتقدم نحوي صائحاً :

- ساتم ما بداه غيري ..

ووثبت جانباً اتحاشاه ولكنه امسك بي وتعثرت قدمي برجل المنضدة الصغيرة واندفع خلفي بقوته فارتطم بالمنضدة التي تدحرجت بجانبي . ويبدو أن سقطته كانت عنيفة وعلى غرة لانه ضج بالالم .. وقبل ان ينهض من كبوته كنت واقفاً علي قدمي احمل مقعداً واهوي به على راس الوغد الذي استكان واحتضن الارض صاخبا لاعنا .. وإذ اخذت استرد انفاسي تذكرت ان المسدس الذي كانت "جلوريا" قد هددتني به لابد ان يكون في حقيبة يدها ، فانحنيت افتحها وامسك بالمسدس .. ولكن الوغد انتهز هذه الفرصة فقام وانقض علي وامسك بذراعي القابضة على المسدس وتصببت عرقا بالالم وانا اناضل ثم تطلعت لاصابع يمناي لاجدها لفرط ما تخدرت قد افلتت المسدس وانني امسك الهواء..

واشتد رعبي عندما رايته ينقض على المسدس ليلتقطه عن الارض فاندفعت اركبه واحاول ان اشل حركته بثقلي فاكتفى بان ينفض راسه يميناً ويساراً كما يفعل الكلب ثم وثب واقفاً على قدميه والمسدس في يمينه ! وصاح يبصق الكلما كانما يلفظ اسناناً محطمة من فمه :

- الآن ساتم مهمتي !

ورمقت "جلوريا" وقد ظلت في رقدتها مغشياً عليها لا تعلم شيئاً عما يحدث قيد خطوات منها . واستبد بي الخوف من ان تكون قد ماتت وعصف بي الحنق فارتميت على الرجل غير عابئ بمسدسه واخذ بهذه المفاجاة المتهورة ولكنه سدد لكمة إلى ذقني جعلتني اترنح واسقط على الارض فبادر يضع قدمه على مرفقي ويدهسه بقوة حتى خلته يريد كسره وتحطيمه ! واستكنت لحظة ثم وثبت على قدمي

وجريت خارجاً بدافع غريزي عجيب . وجرى الرجل خلفي لاعناً ساخطاً . ولعلي اردت ان ابعده عن "جلوريا" التي كان كل همه إخماد انفاسها ، وبي مسكة من الامل في الا تكون قد ماتت بعد . وانحدرت على الدرج وهو يهبط خلفي . وجريت إلى الباب الامامي لاجده مغلقاً بالمزلاج وبالمفتاح من الداخل فادركت انني و "جلوريا" سجينان في الفندق .

وفي تلك اللحظة ادركت اي فخ نصب لنا وها هو الفندق لا يحوي غيرنا وهذا القاتل الممسك بمسدس "جلوريا" .

وتحركت عندما سمعته يهبط الدرج .. ووثبت جانباً إلى المشرب وهناك سلحت نفسي بزجاجتين من الشراب .. حتى إذا اقترب من الباب القيت عليه الاولى وكادت تصيب راسه ولكنه تفاداها فتحطمت على الباب وانسكب ما فيها على ملابسي . واصابت الاخرى الباب وانا اصيح : المعونة ! المعونة !

لعلي استلفت الاسماع لتخف للنجدة . وبادرت القي زجاجتين اخريين خلال النافذة للغرض نفسه فصاح بي :

- ساقتلك لو فعلت !

وتقدم نحوي في بطء ومسدسه مسدد إليّ . وادركت انه يخشى أن يطلق الرصاص فيسمع دويه في الخارج . وتراجعت ممسكا ببعض الزجاجات إلى نهاية المشرب . وتركني ابلغ باباً هناك دون ان يطلق مسدسه علي فوثبت خلف الباب وصفقته في الحال ورائي لاجدني في ممر مظلم . ورايت فيه باباً اخر فجريت منه وقلبي يكاد ينفجر في صدري .

وكان بجانب ذلك الباب مباشرة درج اخر فمضيت ارقاه غائصاً في التفكير إلى أن بلغت بسطة صغيرة بها بابان عالجت احدهما ففتح وتسللت منه إلى حجرة للنوم . وكان همي منصرفاً إلى نافذة في ذلك المخدع فبادرت اطل منها على فناء مليء بالحظائر مهجور ولكن سقفه كان على قيد اقدام قليلة مني فتساءلت هل أستطيع ان أبلغه ؟ وسمعت الرجل قادماً خلفي فوثبت من النافذة ...

وإذ ذاك أطل رأس الرجل وكتفاه ثم سدد نحوي مسدسه آمرا :

- ارجع !

ورأيت الموت يتهددني وعاد يصيح بي :

- ارجع وإلا أطلقت عليك النار وسرعان ما سمعت وقع أقدام في الفناء فاستدرت لأرى "نيد كازينو" و "مانويل سافيلا" و "مانك برودسون" الذي صاح وأسرع يجري نحوي وعندما سمعت صيحته :

- انحرف يا "لوبين" !

دوي الطلق الناري بجانب رأسي وفقدت توازني للمفاجأة فهويت على حافة السطح وتلقفني الأمريكي ليضعف من قوة ارتطامي بالأرض ما استطاع .

وأفقت من غشيتي على يد "كازينو" تربت على وجهي فتطلعت إليه ذاهلا ، ثم إلى الفناء الذي أتمدد فيه وقلت :

- أين الزجاجتان ؟

ثم وثبت على قدمي أصيح كالمجنون :

- "جلوريا" ! "جلوريا" ! إنه كان يخنقها فيجب أن نمنعه من العودة إلى محاولته فتأملني "كازينو" مشدوها ثم سألني :

- ألا تتذكر موعدنا يا "لوبين" ؟ لقد جئنا حسب الاتفاق ، فلما وجدنا الباب الأمامي مغلقا بالمفتاح والمزلاج درنا من الخلف . ماذا حدث ؟

فصحت به حانقا :

- لا وقت الآن لتمطرني بأسئلتك فإن ذلك المجنون يريد قتل "جلوريا" وقد فاجأته في غرفتها قبل أن ينفذ جريمته . ولما أمسكت بمسدسها خطفه مني .

وعدت مبهور الأنفاس أصيح :

- اجروا وراءه بالله عليكم !

واقتنعوا أخيرا وبادروا يعملون فحطم "برودسون" نافذة خلفية بالطابق الأرضي ودخلنا نجري وقد التصق بي "كازينو" كأنما يهمه أن يراقبني ويرعاني كأخ له !! وصعدنا إلى الحجرة التي تركت فيها

"جلوريا" لنجدها جالسة على فراشها ممسكة رأسها بيديها وأسرعت إليها والباقون يرمقونني ، ثم ركعت أمامها أمسك يديها وأقول :

- كيف حالك يا "جلوريا" ؟؟ هل نالك الوغد بأذى ؟

فتلفتت حواليها، ثم تفرستني قليلا وغمغمت قائلة :

- أنا بخير يا "لوبين" .. لايهم .. لايهم !

صحت :

- كيف لايهم ؟ لقد كان يخنقك لولا أن دخلت في الوقت المناسب ... وكاد يغلبني .. ولما أخذت مسدسك من حقيبتك استطاع أن ينتزعه من يدي الضعيفتين فجريت بعيدا عن هنا .. بعيدا عنك ..

فتطلعت إلي في حنان ثم قالت :

- مسكين يا "لوبين" !

ثم تناولت وجهي بين يديها الباردتين وراحت تتأملني طويلا قبل أن تقبل فمي في حرارة .. ولكنها مالبثت أن تركتني بادية الحياء والقلق ثم قالت تسأل "كازينو" :

- ألم تره ؟

فحملق إليها قليلاً كأنما سددت ضربة إلى وجهه ثم تمتم قائلا :

- رأيت رجلاً ملتحياً في النافذة ثم اختفى فصحت :

- واسمه "روجز" .. لماذا تضحك ؟ هكذا قرأت اسمه على لوحة فوق رأسه ! إنه مجنون بلاشك ولكني لا أدري لماذا ...

فقاطعتني "جلوريا" وهي تضع يدها على ذراعي :

- أصغ إلي يا "لوبين" . إن الاسم الذي قرأته اسمه ليس الحقيقي لأنه يدعي "روبين ترنت" !

فذهلت أيما ذهول ثم عدت فتذكرت كلمات "كازينو" عن "ترنت" وأنه وغد وأنه اختفى من السفينة وسرعان ما قلت مشدوهاً :

- وهل يسعى أخوك لأن يقتلك يا "جلوريا" ؟

وخطا نحوها "سافيلا" متجهم القسمات شديد الحنق وقد استحالت نظراته إلى جمرات من النار ، وعجب أن تحمل أساريره كل ذلك الحقد البادي عليها ، ولكنه قال في صوت هادئ :

- لقد أخذ الاكليشيهات من "جوزيه" واختفى . لقد خدعه ..

وخدعني .. وخدع "نيد كازيون" . نعم خدع كل إنسان !! وقد قتل "فيليب فاريل" ، وهو المسؤول عن إثارة "جوزيه" إلى الحد الذي جعله يقتل "ماري فاريل" ليمنع ...

ثم توقف عندما شاهد الخطاب المسجل المفتوح وقد اصبح موضوعاً على الفراش فالتقطه واخرج منه بعض الاوراق ثم تطلع إلى "جلوريا" يسالها :

- اه .. اهذه اوراق الكابتن "فاريل" ؟

فاومات براسها وعاد يقول ساخراً :

- انت تاتين هنا للتحري ايها الذكية وترسلين الاوراق إلى هذا العنوان ولكنك لا تعرفين من هو "روجرز" إلى ان قدمت !!

فنهضت "جلوريا" ومشت إلى النافذة ورأينا كتفيها تهتزان فقال لها "كازينو" مترفقا :

- هوني عليك يا "جلوريا" فسنمضي في اثره ولن يستطيع المضي بعيداً قبل أن نلحق به فاستدارت دامعة العينين تصيح :

- الا ترى ؟ الا تدرك ان هذا مالا اريده يا "نيد"؟ هذا مالا اطيق التفكير فيه ، لا اريد أن يقبض عليه ويحاكم و ....

فسالها "سافيلا" وهو ثائر حانق :

- لم لا ؟ إن "جوزيه" حوكم على جريمة قتل واخوك المسؤول ! لقد قامر وفقد نقوده في أثناء الحرب عندما كان يقضي إجازاته ثم لم يقو على الدفع . لقد أخذ طعامنا وشرابنا ووثقنا به ثم غرر بنا وادعى انه في قلم المخابرات السرية وانه يعرف اشياء كثيرة ولما اصغينا إليه وخطر لاخي ان يستغل ذلك وخاصة عندما حدثه اخوك عن الاكليشيهات وإمكان إخفائها وطبع العدد الذي نريده من الاوراق المزيفة ! وقد راقتني الفكرة وشجعت "جوزيه" عليها ولكن اخاك خدعه. فقد كان المتفق عليه أن يحصل "جوزيه" على حقيبة من "نيد كازينو" ثم ينتظر ليعطي الحقيبة وبداخلها الاكليشيهات إلى رجل يضع في إصبعه خاتماً اعطاه اخي "جوزيه" لاخيك الماكر . وانتظر ثلاثة او اربعة اشهر او ستة في الغالب فإذا برجل ملتح ياتي وفي إصبعه ذلك الخاتم الذي لم يكن سوى خاتم والدة "جوزيه" فكان أن اعطاه "جوزيه"

الحقيبة كامر اخيك وقال له الرجل إنه سيتصل به تليفونيا ليحدثه عما يتم في امر الطبع .. ولكن كان ذلك آخر عهد "جوزيه" به وبالموضوع إلى ان جئت والكابتن "فاريل" لتكتشفا الحقيقة .

وسكت "سافيلا" بادي الإعياء ثم اخرج منديلا جفف به عرقه واستطرد يقول :

- والآن يظهر الرجل الملتحي ونعرف انه اخوك ولكنني سوف اقتله كما سيقتل اخي وهذا دين سيظل في عنقي لـ"جوزيه" ويجب ان أؤديه قبل ان يموت اخي !

وجلست على حافة الفراش وجلست "جلوريا" بجانبي وقال "كازينو" :

- يجب قبل ان نتصيده يا "جلوريا" أن تحدثينا عما فعله لما دخل عليك هنا ؟

فاحسست بها إلى جانبي ترتعد ثم قالت بصوت يختلج :

- دخل واغلق خلفه الباب بالمزلاج .. وكنت مستلقية على الفراش مصدعة الراس راغبة في التفكير قبل ان يدخل "لوبين" ويلح علي في الإفضاء إليه بكل ما أعلمه تبديداً للشكوك التي تكتنفني ، فلما دخل ظننته "لوبين" النافد الصبر ، ثم سمعت الرجل يحدثني في صوت هادئ عادي :

- كان يجب يا "جلوريا" ان تخرجي من حياتي .. انت و"فيليب".

فلما رفعت راسي ورايت لحيته ونظارته السوداء وثبت صائحة:

- "روبين" ! اخي ؟

وخطفت النظارة عن وجهه فعاد يحدثني وعيناه تلتهبان بالحقد والكراهية :

- نعم . كان يجب أن تظلا بعيدين عن حياتي انت و"فيليب" كلاكما.. كان يجب أن تتركاني وحدي والا تتدخلا وتهتما باشياء لاتهمكما .

وكان يتحدث كمن يتلو شيئا حفظه عن ظهر قلب ! وخيل إليّ انه ليس اخي وإنما شخص غريب تقطر كلماته بالكره والعداء ويود لو يلحق بي الأذى ! وأدركت لتوي انني في خطر كبير . وتقدم نحوي ووضع يديه حول عنقي ثم راح يضغط ويضغط ..

وأذهلتني المفاجأة وناضلته وحاولت أن أصرخ ، فوضع يده على وجهي فلما عضضتها لطمني بقوة ثم شد يديه على عنقي من جديد ! وحاولت مرة أخرى أن أصرخ فألقاني على الفراش وراح يضغط ويضغط إلى أن غصت في سحابة من الإغماء .. أو الكابوس

وعندما أفقت وجدت هذه المنضدة محطمة والباب مفتوحا ، والغرفة خالية وقد تلطخ بساطها ببعض لطخ من الدم ، ومن عجب أنه كان يتمتم بعبارات محمومة .

فسألها "كازينو" :

- ألا تذكرين بعض هذه الكلمات ؟

- نعم .. بعضها .. نتفاً منها .. أذكر أنه كان يضحك وهو يقول إن خطي وأنا فتاة لم يتغير وبذلك عرف أن الخطاب المسجل باسم مس "هندرسون" مكتوب بخطي وأنني مرسلته ، فأخذ حذره واعتزم تدبير خطته ، وبدأ بأن أغلق الفندق ولم يطلب له طعاما أو شرابا بالتأكيد .

- هيا نبحث عنه .

فصرخت مولولة : كلا .. كلا يا "نيد" !

ولكن "كازينو" كان قد بارح الغرفة ، فمضينا نتبعه تاركين "جلوريا" وحدها مع الأوراق التي كان "سافيلا" قد انتزعها من الظرف ثم أعادها إليها .. وقضينا نصف ساعة ننقب في أرجاء الفندق ، ولم نترك طابقا أو حجرة دون بحث دقيق ولكن بلاجدوى!

وكان "كازينو" و "سافيلا" يبحثان بحث خبيرين دون أن يهتديا إلى الرجل رغم أن جميع الأبواب كانت مغلقة وخلفها المزاليج من الداخل ، كما كانت النوافذ على حالها دون أي أثر يدل على محاولة الرجل حتى الاقتراب منها أو معالجة فتحها ! وأخيرا زام الأمريكي :

- إنه ليس ساحرا ولايمكن أن يتبخر أو يستحيل إلى هواء !

وهكذا عدنا ننقب وننبش من جديد .. ومضيت إلى المطبخ القديم لأتناول جرعة من الماء ، وبينما وقفت أمام الصنبور لاحظت أحد الأبواب في قاع خزانة أدوات المائدة (الدرسوار) مفتوحا وعلى حافته بقعة من الدم ، فبادرت أفتح أبواب ذلك الدرسوار لأجد فراغا يكفي لأن ينحشر فيه رجل..وتحسست المشمع الذي يغطي القاع ثم انتزعته

لأجد ترباساً لباب خفي ، فبادرت أخرج من المطبخ وأنادي الآخرين .. وقدموا يعدون ، فقلت :

- عرفت أين ذهب .. إن تحت هذا المطبخ كيلارا بابه تحت هذا الدرسوار !

وكان الجهد قد نال مني ، وشعر الأمريكي بأنني أكاد أسقط إعياء ، فلف ذراعه حولي حتى أسترد بعض قوتي الواهنة .. أما "سافيلا" فأسرع إلى الباب الخفي بالخزانة ثم فتحه عن فجوة شديدة الظلام ، ولكنه تدلى منها وراح يدور بقدمه فيها كأنما يحرك محتويات إناء كبير ، إلى أن عثرت قدمه بدرج فمضى يهبطه .. واختفى رأسه وكتفاه فأخذ "كازينو" يتبعه ، وأضاء نور من الفجوة فأدركت أن "سافيلا" وجد زراً كهربياً للكيلار ، وسمعته يصيح فقلت للأمريكي :

- أنا الآن بخير .. دعني أذهب .

ولكنه لم يتركني حتى ألححت عليه ، وما لبثت أن تبعتهم إلى الفجوة وهبطت الدرج أشبه بمن يمشي على حبل لأول مرة ! ووجدتني في كيلار كبير أبيض الجدران ، وأدهشني أن رأيت مطبعة يضيئها مصباح مظلل ! وكان "كازينو" يفحص شيئا أخذه من المطبعة ، ثم قال:

- هذا جواب أشياء كثيرة .. لقد قام بطبع الأوراق المالية .

ثم مضى يوجه حديثه إليَّ:

- إن "جوزيه" و"مانويل" "سافيلا" قد خدعهما هذا الوغد الذي استغلهما لمصلحته لقد كان "روبين ترنت" يطبع الأوراق المالية المزيفة هنا في هدوء وربما بنجاح فسألته :

- وماذا كانت حاجته "بجوزيه ومانويل" ؟ لماذا كانا ضروريين له؟

فأعاد الأكليشيه إلى مكانه ثم قال :

- كان "ترنت" في أيديهما بسبب ديون في المقامرة لم يستطع سدادها .. ديون ارتبط بها عندما كان يقضي إجازته في أنديتهما الليلية ، فأراد أن يمنيهما بما سيعود عليهما بأكبر فائدة ثم أشركهما في المخاطرة ، ورأى بعد ذلك أن يظفر وحده بالغنم ، وأعد خطته للاختفاء نهائيا .

وقدم الأمريكي يتلفت حوله واستطرد "كازينو" يحدثني :

- وهكذا دبر الحصول على الأكليشيهات التي نما إليه خبرها وجعلني كبش الفداء فحملت الأكليشيهات ووضعتها في يدي "جوزيه" معتقداً أنني أتعامل مع أحد رجال المخابرات السرية الذي كان في انتظاري .. ثم أغرق السفينة واختفى كانما لقي فيها حتفه .. وفوجئت بأن "مايلاند" (مراسلة) "فيليب فاريل" يبحث ويتحرى عني ، ولكني استطعت أن أتحدث إلى "برت مايلاند" وفهم كل منا الآخر جيدا .

فقلت حائرا

- إنك تخلط كثيرا يا "نيد" ! يوما تقول "برت" .. ويوماً آخر تقول الرجل الذي أرسل "برت" إلى المستشفى !! ولكن استمر .. لماذا جئت إلى سيكومب ؟

- حقا ما كان يجب .. ولكن قل لي يا "لوبين" : لو أنك سئلت أن تذكر اسم مكان يمكن أن يوجد فيه "ترنت" المختفي أو الضائع فأي مكان تذكر ؟

- سيكومب .. ولكن أين هو ؟

- ربما استطاع "مانويل" أن يجيبك فلنسأله .

وسرنا إلى حيث وقف "سافيلا" وهناك كانت بجانب الجدار حقيبة مفتوحة وفوقها قطعة من مرآة .. وفي الحقيبة تناثرت بعض الملابس التي كان يرتديها الرجل الملتحي .. ورأينا مقصا على منضدة بجانب الحقيبة ، فلما التقطته وجدت بين نصليه شعيرات سوداء كما وجدت (أنبوبة كريم) حلاقة وموسى فوق نصلها بقع من الدم ..

والتقطت من الأرض قصاصة من صحيفة تعلوها رغاوي صابون ملطخة كذلك بالدم فأدركت أن الرجل جرح نفسه وهو يحلق بسرعة .

وكان "برودسون" ينبش في الحقيبة فصاح : انظروا !

ورأينا ملابس أخرى وشعرا مستعارا ونظارة وأنابيب ألوان مما يستعمله الفنانون وعاد الأمريكي يصيح : هذا هو الطريق الذي ذهب منه .

وأشار إلى غطاء المجاري ذي المفصلات .. ورفعنا الغطاء لنجد سلما من الحديد ونتبين أن محتويات الخزان قد كسحت حديثا ..

الفصل الثاني عشر

صاح "كازينو" :

- إذن فقد خرج من الفندق وهرب ، لا ندري إلى أين كما لاندري أي هيئة قد اتخذها ولا من اين نبدأ البحث عنه

فانتفض "برودسون" وقال :

- مالك تتحدث هكذا كأنك من رجال البوليس السري ؟ إنني رجل خرافي كما قد تظنون ولا أحب حتى أن أقوم بدور رجل البوليس .

فقال "كازينو" !

- الحق أنني لا أفهم ما ترمي إليه يا "هانك" ولا أحب هذه الألغاز .

- يخيل إليّ أن "روبين ترنت" لايحب كذلك أن يتدخل رجال البوليس في أمره ولذلك كان متأهبا للهرب والإفلات .. ولهذا اشتد رعبه عندما وصلت "جلوريا" و"لوبين" وقد أراد أن يتخلص منهما على طريقته . وبحيث لايضطر إلى مغادرة الفندق وشخصيته المزيفة وحياته الهينة الآمنة ، ولكن "لوبين" مل انتظار "جلوريا" فكان ما كان ..

فهز "كازينو" رأسه وقال : المهم أنه هرب فهل لدى أحدكم رأي ما ؟

فقلت : لا أعتقد أن "ترنت" يحاول الهرب ومعه حقيبة .

وهنا قال "سافيلا" نافد الصبر : ومن أين جاءك أن الرجل يحمل حقيبة ؟

- مجرد اعتقادي بأنه يحمل معه الأوراق المالية المزيفة ، لأنه لا يمكن أن يتركها هنا بحال

- ولماذا ترك الأكليشيهات ؟

- لأنه لم يجد داعيا لذلك مادام أن البوليس سيدهم المكان ويعثر على المطبعة . وأغلب الظن أن الرجل رحل مطمئناً إلى أن البوليس سيعتقد أن المجرم يدعى "روجز" ، ومعتزما أن يرجع بعد ذلك وقد استعاد شخصية "روبين ترنت"

وعاد "سافيلا" يسألني حائراً : وماذا يحملك على الظن بأنه لن يحاول الهرب ؟

فاجبته : إن الرجل يعتقد اننا سوف نستدعي رجال البوليس في الحال وانهم سيقومون على الفور بتحرياتهم وانهم سيراقبون على الفور كل من يغادرون سيكومب .. ولهذا فهو لن يهرب وإنما سياتي .. أي سيصل إلى هنا

فحملقوا جميعهم إليّ غير فاهمين وغمغم "كازينو" مشدوهاً :

– سياتي ! سيصل ! ماذا تعني يا "لوبين" ؟

– اعني انه خرج من هنا مرتدياً حلة جديدة ومغطياً راسه بشعر مستعار وحاملا حقيبة مليئة بالأوراق المزيفة ، وهو يخشى ان تكون الرقابة مفروضة على المسافرين من سيكومب ، ولذلك فسوف يتظاهر بانه مسافر وصل إلى سيكومب ، وأظنكم معي في أن البوليس سيجعل كل همه مراقبة الذاهبين وانه لن يقترب من القادمين . افهمتني يا "كازينو" !

فاوما براسه ثم قال : إذن سيكون بحثنا وتنقيبنا في المحطة حيث نجده قد تسلل بين القادمين .

– هذا ما أراه لأن رجلاً مثله يخاطر بحياته وبشخصيته لشديد الدهاء .

وتقدم "سافيلا" قائلا : إذن هيا بنا إلى المحطة .

وتطلع "كازينو" إلي فقلت : انتظروا ! ماذا عن "جلوريا" ؟ لن نتركها وحدها هنا فقد يعود الرجل ويجب أن يبقى احدنا معها .

– سيتولى : هانك" الانتقال بـ"جلوريا" والحقائب إلى "ستيف" لتنتظر معه في السيارة بعيداً عن مواطن الأذى . اما انا وأنت فسنبقى هنا مع "سافيلا" إلى ان يعود إلينا "هانك" فنمضي إلى المحطة ثم إلى أقرب فندق .

ثم التفت إلى الأمريكي بنظرات زاخرة بالمعاني وقال له :

امامنا نصف ساعة وأسرعت إلى المطبخ اغسل وجهي . ورأتني "جلوريا" و"هانك" قبل مغادرتهما الفندق فابتسمت الشقراء في وجهي وقالت : احتط لنفسك جيداً يا "لوبين" .

وتركت "جلوريا" تمضي مع الرجل الدائم الابتسام والمرح مهما تعقدت الأمور ، ولحقت بـ"كازينو" و "سافيلا" فوجدت الأخير يكاد

يتميز من القلق ويحترق بنفاد الصبر وقد اخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا كدب وقع في فجوة عميقة ! وكان دميم الوجه بذلك الضيق والتبرم حتى لقد تساءلت متى ينهي "كازينو" هذه الهدنة الصغيرة مع ذلك الوغد .... !

ورجع "هانك برودسون" فصاح به "سافيلا" حانقا : ما هذا التاخير ؟

ولكن الأمريكي لم يحفل به ولم يعن حتى بان يلقي عليه نظرة واحدة . وغادرنا الفندق من باب المطبخ ومالبثنا بعد عشر دقائق ان كنا في المحطة حيث قام "كازينو" بتحريات علمنا منها ان قطاراً من لندن وصل منذ عشر دقائق فقط ، وقال "كازينو" إذ ذاك:

– انتظروا ... لدي فكرة ..

ومضى عبر فناء المحطة ثم تحدث إلى شيال بعد أن نفحه حلوانا.. وعاد إلينا يقول :

– توجد ثلاثة فنادق : جراند وكرافن وتشانل هايتس فلنجرب فندق جراند أولا واستقللنا (تاكسي) إلى ذلك الفندق فوجدنا في ردهته الخارجية كهلين وبعض شبان يثرثرون .. وذهب "كازينو" إلى غرفة الاستقبال ثم رجع بعد لحظات يقول :

– هيا نبحث في تشانل هايتس بلا تاخير .. إنه قريب من هنا فلنذهب سيراً على الأقدام ..

وخرجنا إلى الشارع متجهين إلى ذلك الفندق وفي ردهته وجدنا ستة جالسين يشربون في (المشرب) وقد وضع أحدهم نظارة على عينيه وارتدى ثوبا حالكا ووضع حقيبة كبيرة عند قدميه.. وكان شعره وشاربه رماديين ولكنه كان الوحيد الذي يصطحب معه حقيبة ..

وتطلع "نيد" إلى ساعته ثم سال "برودسون" في اقتضاب : "ستيف" ؟

فاوما الأمريكي براسه وقال :

– إنه طلب إلى "فريد" أن يبقى في (كشك) للتليفون معي رقمه فهل احدثه ؟

ولما اوما "كازينو" براسه مضى "برودسون"نحو كشك للتليفون في نهاية الردهة بينما زام "سافيلا" قائلا : ما هذه المكالمة التليفونية ؟

فاجابه "كازينو": مجرد حيطة لا أكثر وستعلم كل شيء فيما بعد

- أوه إنني لا أحب كل هذه الأساليب الملتوية والإحجام عن المخاطرة.

وبدا على "كازينو" الغضب ولكنه كظم غيظه وحنقه ثم قال وهو يتجه نحو المشرب

- تعالوا نشرب قليلا .

واعتلينا المقاعد التي امر لنا بها حول (المشرب) وحاولت أن ابتعد بعيني ما استطعت عن الرجل ذي النظارة والحقيبة لانني لم ار فيه ما يدل على انه نفس الرجل الذي اشتبكت معه في المعركة من اجل "جلوريا" وحياتها الغالية عندي .. وهو بدوره لم يستدر ليتطلع إلينا بل ظل منهمكا في شرابه وصحيفة مسائية وعاد "برودسون" الأمريكي ليحشر نفسه بيني وبين "كازينو" ويقول له:

- يقول "فريد" إن "هاري" أوقف سيارته في الوقت المناسب وانه واثق بوجود سيارة للبوليس خارج موقف السيارات وسوف يعود "فريد" فيتصل بـ"هاري" لاسلكيا ويطلب إليه موافاتنا هنا مباشرة ليقوم بالتغطية اللازمة في مدى أربع دقائق من الحادث المنتظر فاوما "كازينو" براسه وقال: شكراً يا "هانك"..

وعدت أتأمل الرجل ذا الحقيبة عند اقدام مقعده العالي أمام المشرب وكان يطوي الصحيفة فرايت على ذقنه جرحا جديداً ثم جرحا اخر بالقرب من أذنه !! وكان ذلك كافيا لان يربد وجهي فامتدت يد "كازينو" تدفع ركبتي وقد برقت عيناه ثم هز راسه دون أن ينطق بحرف ، وبذلك ادركت انه شاهد الجرحين من قبلي اي عند دخولنا الفندق . أما "سافيلا" فلم يرهما إلا عندما طوى الرجل صحيفته ولذلك انقض من مقعده يمسك يد الرجل التي بدا فيها إذ ذاك خاتم اشبه في شكله بإبزيم من الذهب ! وكان "سافيلا" يصيح: خاتم "جوزيه" خاتم أمنا ! أنت الرجل الذي ...

وراح يلعن ويصخب بلغته الإسبانية . والقى الرجل صحيفته وانحدرت نظرته إليّ - من خلف نظارته - قوية نافذة كنظرة النسر ، ومنعني "كازينو" من أن انقض بدوري عليه وسرعان ما ثار الرجل ثم

وثب يجري ومن خلفه "سافيلا" يتبعه ويصيح . وأخرج الرجل من جيبه مسدس "جلوريا" ولكن قبل أن يسدده إلى "سافيلا" كان هذا قد لطمه على وجهه لطمة قوية جعلت الرجل يهوي على الأرض وقد سقط المسدس من يده . وانحنى "سافيلا" بسرعة يلتقط المسدس ويطلق منه ثلاثة أعيرة إلى الرجل الجاثم عند قدميه. واندفع "كازينو" نحو المدخل وقد تسمرت عيون جميع من في الردهة الواسعة على تلك المنظر . وسرعان ما اختفى "برودسون" وبقيت في مكان ممسكا كاسي وقد اذهلتني المفاجاة إلى ان انفجرت إحدى النساء معولة بينما تجمع الرجال حول "سافيلا". وساورني القلق المتزايد في كل لحظة إلى أن فتح الباب ودخل منه "كازينو" و "برودسون" وفي رفقتهما المفتش "دافيدسون" ومساعده ! وهتف "كازينو" يحدثني:

- أهذا أنت يا "لوبين" ! لقد جئت أعيدك إلى لندن . ما كان يجدر أن تهرب من المستشفى فتجعل مفتش البوليس يطاردني طول اليوم إلى ان لحق بي . انت ولد شقي .. ولكن .. ماذا حدث؟ وما هذا الزحام ؟!

فصاح أحد الحاضرين: لقد مات

وصاح آخر: استدعوا طبيباً والبوليس

ونظر كل من المفتش ومساعده إلى الآخر ثم تقدما إلى الحشد الملتف في منتصف الردهة بينما كان "سافيلا" يناضل أربعة رجال عصف بهم الغضب للحادث . وتطلعت إلى "كازينو" الذي كان هادئا ثابتا كالطود فعاد يخاطبني بصوت مرتفع:

- قل لي ماذا حدث وماسر هذه الجلبة كلها ؟

وحملت سيارة الإسعاف جثة "روبين ترنت" الذي دلت الأوراق التي وجدت في جيبه على انه يدعى "ريتشارد تايلور" !! بينما سيق "مانويل سافيلا" إلى اقرب مخفر للبوليس يحرسه الكونستابل المحلي ، ثم دعاني "كازينو" للخروج معه من الفندق . وفي الشارع كانت تقف سيارته الأمريكية وخلف عجلة قيادتها "هاري" بينما على الجانب المقابل من الشارع كانت تقف سيارة البوليس، ومالبث المفتش "دافيدسون" ومساعده ان لحقا بنا على الرصيف وانشا المفتش يتحدث مباشرة في الموضوع قائلا لـ"نيد":

- لقد تبعنا سيارتك من العصر وهي تتجول في انحاء البلد ولكن هانتذا تصل بعد بضع ثوان من هذا الحادث ثم تجد "ارسين لوبين" امام المشرب وقدا اكفهرت اساريره !

وحاولت أن احتج على نسبة الشحوب إليّ والجميع يعلمون انني مريض ولكن المفتش استرسل يقول : ويزيد حيرتي أن وجدنا "سافيلا" ممسكا بمسدس بعد أن قتل رجلا غريباً تمتلئ حقيبته باوراق مالية مزيفة !!

فابتسم "كازينو" ثم اخرج سيجارة ليشعلها في هدوء وهو يقول:

- إنك تبحث دائما عن الدوافع والأسباب البعيدة متجاهلا التعليلات السطحية التي لاتحتاج إلى جهد وتفكير ! ! إنني احب التجول في البلد بسيارتي ولذلك تجدني أتنزه فيها دائماً وخصوصاً في مكان جميل مثل سيكومب ولكن ربما اوما "سافيلا" إلى أنني كنت هنا ومع ذلك فقد قمنا ببعض الأعمال في الليلة الماضية واظنك قرات في الصحف أن نادي سيلفر قد انتقلت ملكيته إلي .....

فقاطعه المفتش في خشونة : واظنك أنت تعلم انني تلقيت مكالمة تليفونية من مكان قريب من نادي سيلفر حملتني على الذهاب إلى شقة "جوزيه سافيلا" !!

ولما لم يحفل "كازينو" بذلك الجو المشحون بالكهرباء عاد المفتش يقول :

- لولم.. ارك بعيني تصل إلى هنا ، ولو لم أرك واقفا على الرصيف بعد أن خرجت من سيارتك ، ولو لم الحق بك قبل أن تدخل الفندق ...

ثم توقف يلتقط انفاسه اللاهثة لفرط انفعاله ، فساله "كازينو" في براءة وسذاجة :

- لولا هذا كله لكان .. ماذا ؟

فزمجر المفتش متقززا: لا أدري لماذا انفعل كلما فكرت فيك يا "نيد" !؟

- هذا يرجع إلى طبيعتك المتشككة يا مستر"دافيدسون" .

- خذ مثلا .. ها هو "لوبين" هنا في داخل الفندق حيث كان واجباً أن تكون بدورك معه في ذلك الفندق

- إنك تنسى يا سيدي أن "سافيلا" يطارد "لوبين" فلا مجال إلى

تصديقه لو حاول أن يكذب عليكم ويدعي انني كنت هنا لانك رايتني بعينيك عند وصولي .

- حسنا .. لقد رايناك وتبعنا سيارتك وهي تتجول في انجلترا ثم تقف عند موقف السيارات ولم نرك تخرج منها إذ ذاك وتبعناك إلى هنا، فلما خرجت من سيارتك التي نعرفها جيداً خرج معك "برودسون" .

- على أي حال أنا لم اشاهد حادث إطلاق الرصاص ولست شاهدا عليه ، لانني كما تعلم كنت في سيارتي ،، أعني لن تطلبني المحكمة لأداء الشهادة .

- ولكن سيجيء يوم ..

- دعنا من المستقبل فهو في عالم الغيب

- ولكن كيف عرفت أن "سافيلا" سيطارد "لوبين" ؟

- قال لي ذلك بنفسه عندما اشتريت منه نادي سيلفر .

- الحق انني لا ادري كيف تجمع رجال "سافيلا" في شقة اخيه مع "ليلان" ، او لماذا جاء "سافيلا" إلى سيكومب ، او لماذا يطارد"لوبين" ، او لماذا يجيء بنفسه إلى سيكومب ؟!

- إنك تنسى يا سيدي المفتش أن "لوبين" يتودد إلى مسز "جوزيه سافيلا" ، وانها كانت كذلك في نادي سيلفر ، وانها دعت "لوبين" إلى الشقة دون أن تدري أن رجال "سافيلا" قد استعدوا لمقابلته هناك مقابلة حارة ، ثم يجب الا تنسى أن "مانويل" "سافيلا" يحقد على"لوبين" لانه شهد على أخيه "جوزيه" شهادة ستفضي به إلى المشنقة .

- اسكت أنت ودع "لوبين" يخبرنا .

وادركت أن الكرة قد القيت في حجري كما تقول الأمثال ، وتطلعت إلى "كازينو" فوجدته قد عقد ما بين حاجبيه كانما يحذرني من التورط، ولكنني قلت في اعتداد :

- الامر غاية في السهولة والوضوح .. فإن "نيد" كان يعلم الكثير عن اهتمامي بـ "جلوريا سافيلا" .

ولما أطرق المفتش براسه استرسلت اقول :

- لقد اهتممت فعلاب "جلوريا" وتعددت مقابلاتنا ووجدتها تسعى

لمعرفة شيء يهمها عن أختها وزوج أختها . ثم وعدتها بالمجيء إلى سيكومب . ومن أجل ذلك ذهبت إلى شقتها لنتحدث في الأمر، ثم كان ما كان من ذهابي إلى المستشفى ، ثم مغادرتي له معتزما مقابلة "جلوريا" .

– لقد فكرتنا بلعبتك القذرة ؟

– وحاولت أن أتصل بها تليفونيا ولكني لم أستطع

وكذبت متعمدا لأبعد "جلوريا" عن كل ما يجعلها موضعا للمؤاخذة ثم استطردت أقول :

– ولم أشأ أن أكون في مكاني قريب من لندن خشية أن يقتلني "سافيلا" ، فجئت إلى هنا لأشرب كأسا فإذا بي أرى "سافيلا" هنا، ثم شاهدته ينقض على رجل جالس على قيد خطوات مني وإذا بهذا الرجل يخرج مسدسه . وغدوت أشبه بمن يتملكه كابوس، وحرت ماذا أفعل إلى أن رأيتك و"نيد" ومساعدك داخلين.. هذا إلى جانب أنك تعلم لماذا أنا هنا .

لماذا يا "لوبين" !

– لأن "جلوريا" كانت سترسل لك نسخة من أوراق أخذتها من أختها وتوضح ماذا كان يعمله زوج أختها عندما قتل في حادث السفينة وفيها ذكر للأوراق المالية المزيفة .

– لقد أرسلت لي النسخة فعلا ولكنها لم تذكر أسماء ، فهل حوى الأصل ...

– اسألها هي عن ذلك فإنني لا أحب أن يكون لي شأن في هذا الموضوع

وإذ ذاك قال لي "كازينو" :

– تعال أوصلك في سيارتي يا "لوبين" فإنك مازلت بادي الإعياء

ورأيت أن أمضي عائدا إلى لندن مع "نيد" لأتحدث إليه قليلا بعد أن أجاد دوره وجعل السيارة الأمريكية تصل بالضبط في الوقت الذي يوهم المفتش والسيارة المطاردة أنه لم يكن في سيكومب قبل الحادث ! وأخيرا قال المفتش :

– أرجو أن أراكما قريبا ، وأعتقد يا "نيد" أنك أمهر كاذب في هذا

البلد ، ولكن سيأتي وقت ..

والتقطنا "بروديسون" ثم "هاري" .. ووجدني "كازينو" مكتئبا ، فلما سألني عن السبب قلت :

– عندما يعود رجال البوليس لفندق كرافن في الغد ويجدون الأثاث المحطم في مخدع النوم وماتركناه في الكيلار والمطبعة والأكليشيهات والملابس وأدوات التنكر والمقص والمسدس .. لن تجوز حيلتنا على "دافيدسدون" !

فابتسم "كازينو" وقال : لقد خيبت رجائي فيك يا "لوبين" !إنك ذكي وفي ولكنك كثير التشاؤم . إن "فريد" قد تولى تبديد مخاوفك فيما عدا المطبعة

والحق أنني أكبرت في "كازينو" فضائل كثيرة جعلتني أوثره باعترافاتي وأجعله محور قصتي ، فقد امتاز بدقة كبيرة وخاصة في التوقيت واستخدام أحدث المخترعات ، فبفضل جهاز الإذاعة تمكن "هاري" و "فريد" من الاتصال معا وكل منهما في سيارته ، كما أعجبت بتضليله رجال البوليس وحملهم على مطاردة السيارة الأمريكية ظنا منهم أنهم يتأثرون خطاه ، ولذلك فهو جدير بما نعته به المفتش "دافيدسدون" من أنه أمهر كذاب في البلد !

ولاشك أن "كازينو" قد أتقن فن الكذب بحيث ظل بعيدا عن متناول القانون كما حمل الآخرين عليه لحمايته ، وها هو ذا يجعل من مفتش البوليس ومساعده شاهدين على عدم وجوده في مكان الجريمة وقت وقوعها !

وانفجرت ضاحكا فاغتبط "كازينو" وتناول من جيبه مفتاح السيارة الذي كان قد أعطانيه ثم قال معتذرا :

– عندما كنا في فندق تشائل هايتس رأيت من الحكمة أن أبعده عنك مخافة أن يفتشوك ثم يهتدوا بالمفتاح إلى أن "جلوريا" استأجرت تلك السيارة .

وخرجنا من سيكومب فالتقط "هاري" جهاز الإذاعة وناوله لـ"بروديسون" . وجرت السيارة إلى أن بلغت الحظيرة حيث كانت السيارة المأجورة قد تركت فأنزلني "كازينو" قائلا :

- ارجو لك حظا سعيدا يا "لوبين" ولاتنس أن تقبل لي شقراءك.

ورايت "كازينو" ينساني فور أن اغلق خلفي باب السيارة ليقول للأمريكي:

- قل لـ "ستيف"...

ورايت في السيارة المأجورة "جلوريا" تستقبلني بابسمة وتقول:

- لا تبد دهشتك أو أظنك غير مرتاح لمقابلتي ! هات المفتاح وهيا نتنزه قليلا لتخبرني في الطريق بما حدث

وعدنا إلى لندن في بطء وأنا أروي لها القصة المحبوكة التي نسج خيوطها الدقيقة "كازينو" فضحكت وقالت:

- إن "كازينو" شديد الاحتراس ولكن شيئا واحدا نسيه وكان يمكن أن يقضي عليه. لقد حذفت الأسماء من النسخة التي أرسلتها لمفتش البوليس ولكنها موجودة في الأصل، فلما بدأ "برودسون" يعاونني في حزم حقيبتي قبل أن يأخذني إلى السيارة التي في الموقف التقط الطرف المسجل وأشعل فيه النار. وقبل أن امنعه قال إنه يفعل ذلك «لمجرد الاحتياط».

قلت: ثقي بأن "كازينو" هو الذي طلب إليه ذلك.

- الحق أنه بعيد النظر ويفكر في كل شيء

فسعلت وقلت: تصوري أنه فكر حتى في أن أقبلك !

واوقفت السيارة ولففت حولها ذراعي

"تمت بحمد الله"